بسم الله الرحمن الرحيم

اسم بحث الدكتوراة:**(الطاعون والوباء والعدوى في هدي سيد الأنبياء)**

عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام

بحث نال به صاحبه درجة الدكتوراة في علم الحديث الشريف

لطويلب العلم الطبيب كيبات خان ميرداد خان نظر محمد البشاوري

لسنة 1442 هـ الموافق 2020م

تحت إشراف الجامعة الإسلامية المفتوحة الموقرة

والمشرف الدكتور محمد المتولي سعد

المقدمة

(ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [1]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [2] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [3]

أما بعد:فإنَّ أصدق الحديث كلام الله تعالى، وخير الهَدْي هَدْي محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم وشر الأمور مُحْدَثَاتُها، وكل مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.)[4]

---

[1] سورة العمران آية 102

[2] سورة النساء الآية 1

[3] سورة الأحزاب الآية 70 و71

[4] أخرج خطبة الحاجة الترمذي 1023و النسائي 1387 ومسند الإمام أحمد 3536 وأبوداود 1809 وأفرد لها الألباني كتابا .

وبعد خطبة الحاجة اقتداءا بالنبي صلى الله عليه وسلم واله واصحابه وأئمةالحديث[1]، انا العبد الفقير اتجرأ ان اقول بانني احاول في هذه الاوراق ان اقدم بحثا شاملا ان شاء الله عزوجل عن عقيدة الإسلام في الطاعون والوباء و العدوى في ضوء الكتاب و السنة النبوية و ما وصل اليه الطب الحديث اثباتا لتلك الاسس والقواعد التي جائت من النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الشريفة, وعمل بها المسلمون قبل أربعة عشر قرنا لمواجهة الطاعون والوباء والعدوى من لدن النبي صلى الله عليه وسلم و الخلفاء الراشدين الى يومنا هذا, ولا شك انها واقصد الأحاديث التي توضح وتبين الحقائق وما يجب أن يعتقد به المسلم عن الطاعون والوباء لهي عقيدة الإسلام في الطاعون و الوباء والعدوى, وهي في نفس الوقت مفخرة لكل مسلم و معجزة ربانية وإعجاز علمي جلي ولا شك لأن تلك القواعد الشرعية العتيقة لتطابق الحقائق العلمية الطبية الحديثة في نفس المجالات رغم مابينهما من قرون ودهور وصدق الله عزوجل في كتابه حيث قال:(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى 0 إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى)[2] صدق الله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما ذلك إلا لأن النصوص الشرعية والحقائق العلمية تنبع من مصدر واحد لأن كلام الله عزوجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتعارضان مع أفعال الله في الكون وهي ما وضع الله عز وجل من قوانين وقواعد تسير به الكون ومافيه الى ما شاء الله عز وجل, فحاشا لله تعالى أن يختلف أو يصطدم قوله مع فعله سبحانه وكذلك ما أخبر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم , وسميت بحثي هذا "عقيدة الطاعون والوباء والعدوى في هدي سيد الانبياء"وقسمت بحثي هذا الى الأبواب التالية:

1-المقدمة وتشمل خطة البحث ومشكلة البحث وأهميتها وحلها والدراسات السابقة عليه

2-الباب الأول: التعاريف والاصطلاحات اللغوية والعلمية والطبية

3-الباب الثاني: الطاعون والوباء عبر التاريخ البشري

---

[1] كتاب خطبة الحاجة للألباني المكتب الإسلامي دمشق الطبعة الرابعة 1400هـ

(سورة النجم الاية 3 و 4)2

4-الباب الثالث: الطاعون في العصور الإسلامية وما قيل فيه

5-الباب الرابع: بعض أحاديث وسنن متعلقة بالطاعون والعدوى وتخريجها

6-الباب الخامس: فقه وفوائد وقواعد تأخذ من هذه الأحاديث لبيان عقيدة المسلم في الطاعون و الوباء و العدوى وكيفية التعامل مع هذه الأمور شرعا.

7-خلاصة البحث والخاتمة

8-فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

9-فهرس المراجع والمصادر

10- فهرس المواضيع

ولنبدأ مستعينين بالله عزوجل الان وفي كل حال ونقول إياك نعبد وإياك نستعين.

ان من سنن الله عزوجل الابتلاءات والمحن والفتن وهي قليلة في مقابل النعم والمنح الربانية مثل الصحة والسلامة والعافية, ولكن رب ضارة نافعة ولا يعلم الغيب و الحكمة الا الله عزوجل ولذلك يجري قدرالله بما يريده الله عزوجل حتى يشعرنا بضعفنا و عجزنا ولكي لا نتمادى في غيينا وظلمنا وجبروتنا نحن البشر ، فتأتينا او بالاحرى تسلط علينا أوبئة وطواعين او قل عذابا حتى نفيق من غفلتنا وجهلنا , ونتوقف من سوء اعمالنا وظلمنا لبعضنا البعض, وايضا لكي نعرف نحن البشر حجمنا الحقيقي و عجزنا التام امام بعض الحوادث ونشعر بل ونؤمن بأن لا ملجأ لنا الا الى الله عز وجل ولا خروج من تلك التامات والمصائب والجوائح الا بالعودة و الرجوع الى الله عزوجل و الى دينه, ولا خروج إلا بالتدين بعقيدة سليمة صحيحة في الطواعين والأوبئة والعدوى مأخوذة من النصوص الشرعية والعمل وفق تلك القواعد العقدية الإسلامية, وهذا الذي يجب على المسلم معرفته وخاصة العلماء قبل العوام ويجب تبيان وتوضيح ذلك للعوام عند وقوع الأوبئة والأمراض لما لتبيانها من أثار إيجابية على الشخص والمجتمع بل على البشرية جمعاء من مثل نشر الطمأنينة والسكينة بقضاء الله وقدره, وآيضا تقليل نشر العدوى والمرض والطاعون بعدم مخالفة النصوص , وتوضيح وبيان تلك العقيدة والعمل بها لا يقل أهميته من ترك الذنوب والكبائر والموبقات وهي لا شك سبب لعقاب الله عزوجل, كما قال الله عزوجل : (لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ)[1], قال ابوجعفر الطبري الرجز: الطاعون كما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هو العذاب كما روي عن مجاهد وقتادة. تفسير الطبري[2]. وقال تعالى :(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)[3] قال ابو جعفر الطبري في تفسيره روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انهم كانوا أربعة الاف وانهم فروا من الطاعون[4] ,_فأماتهم عقابا لسوء المعتقد والعمل وهو الفرار من الطاعون والقدر ومع ذلك وقعوا فيه ثم أحياهم درسا لهم _ والله اعلم.,ولكن للأسف الغالبية العظمى من المسلمين لا يعرفون عقيدة الإسلام الصحيحة والهدي الصحيح للنبي عليه الصلاة والسلام في التعامل مع الطاعون والأوبئة والعدوى وهذه هي المشكلة التي نحن بصدد ذكرها وحلها إن شاء الله تعالى, وآيضا الأغلبية من المسلمين لا يعرفون مايجب عليهم أن يعتقدوا في الطواعين الأوبئة ؟ وما الفعل والعمل الذي يلزم عليهم عند وقوعها وفق قواعد وضعها الشرع الحكيم؟وإذا عرفوا المعتقد الصحيح والتعامل الصحيح مع الأوبئة والطواعين والعدوى وفق قواعد الشرع الحنيف فهذا والله الحل الكلي بإذن الله تعالى, ولا شك أنه الحل الأمثل لمعالجة الطواعين وأثرها السيئة على الجميع وتفادي ذلك وبه نيل خير الدنيا والآخرة ان شاء الله تعالى,وهذا هو الحل الكامل كما قلنا, وإننا في بحثنا هذا نضع خطة للعروج على هذه المشكلة أقصد بالمشكلة هي عدم معرفة المسلمين لعقيدة الإسلام في الطواعين والأوبئة والعدوى أو الجهل التام أو النسبي لتلك العقيدة والنصوص الشرعية التي أخذت منها تلك القواعد أو المعتقد , وكذلك نعرج على أثارالسيئة المترتبة من جهل تلك العقيدة والقواعد التي وضعها الشرع الحكيم للتعامل مع الأوبئة ,ونوجد حلول جذرية لهذه المشاكل وهي عدم معرفة المسلمين لعقيدة الطاعون والعمل وفقها وذلك من النصوص الشرعية وبشكل خاص من السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم ونخرج من تلك النصوص قواعد وأسس شرعية وبلغة حديثة مع دلالاتها الشرعية والطبية مع ما اكتشفه الطب الحديث في هذا المجال, ليسهل فهم هذه الأمور والتعامل معها ليعم الخير الجميع وخاصة المختصين في مجال الصحة وعوام الناس درءا لتجنب

---

[1] سورة الأعراف الآية 134

[2] تفسير الطبري الطبعة الأولى 1415 هـ مؤسسة الرسالة بيروت تحقيق بشار عواد و عصام فارس ج 10 \ص299

[3] (سورة البقرة الآية 243)

[4] تفسير الطبري الطبعة الأولى 1415 هـ مؤسسة الرسالة بيروت تحقيق بشار عواد و عصام فارس ج 4\ص 243

الأثار السلبية لتلك الأوبئة والامراض سواء أكانت الأثار نفسية أو جسدية بل وحتى الإجتماعية كالحجر والعزل والتباعد الجسدي و آيضا الأثار الأقتصادية مثل الخسائر المالية المترتبة من التعطيل والتحجير وغيره.

والخطة البحثية المختارة هي إختيار عدد من أحاديث نبوية صحيحة من صحيح البخاري ومسلم و السنن والمسانيد,والقيام بتخريجها و شرحها وإستخراج دررها وكنوزها الدنيوية والأخروية واقصد بذلك استخراج القواعد العقدية النظرية والأسس العلمية والعملية في التعامل مع الأوبئة من تلك الأحاديث مع إثباتها أنها عملية كما أنها شرعية تعبدية في آن واحد بفضل الله عزوجل , ويجب العمل بها والدليل على ان هذه القواعد والأسس العلمية مفيدة وعملية هو أنها من السنة النبوية وهي المصدر الثاني لشرع الإسلام بعد كتاب الله عزوجل كما يعلم الجميع والدليل الثاني أنها مجربة ومطبقة قد إعتقدها وعمل بها الصحابة والتابعيون والسلف الصالح رضوان الله عليهم بشكل عام قبل اربعة عشر قرن من الزمن لما واجهتهم الطواعين والأوبئة في عصر الخلافة الراشدة والذين نحن مأمورون بالتمسك بسنتهم والإقتداء بهم[1] وعصرهم المتميز و المعروف بخير القرون وكانت لها نتائج مفيدة وإيجابية عند تطبيق تلك القواعد العقدية و الأسس العلمية والعملية والمأخوذة من الشرع الحكيم , وسنتطرق لها في البحث إن شاء الله تعالى بمزيد بيان.

ولاشك هذا بحث مهم جدا و أقصد تعريف المسلمين بعقيدة الطاعون والوباء والعدوى والعمل وفق تلك العقيدة والقواعد والأسس أو إن شئت قل أهمية حل هذه المشكلة مهم جدا اذبحلها تأمن البلدان والأنفس والأجيال القادمة من شرالأوبئة والطواعين والخسائر البشرية والمالية, ويكون ذلك حين يتعامل المسلم مع الطاعون والوباء والعدوى بعقيدة وإيمان وقواعد دينيية وأسس علمية وعملية راسخة تنبع من داخله مع الأخذ بالأسباب التي دعت إليها تلك العقيدة والقواعد فيسهل عليه التعامل الأمثل مع الأوبئة و مع نتائجه المترتبة فيصبر ويتقوى على المصائب والأوبئة وينتصر عليها في الدنيا و آيضا يحتسب و ينال أجرها في الآخرة إن شاء الله تعالى , ولا شك فبهذا سيفوز المسلم في الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى, و بإختصار لكي نفهم عقيدتنا نحن المسلمين في الطواعين و الأوبئة والعدوى لا بد ان نرجع للنصوص من الكتاب والسنة النبوية الصحيحة وعمل الصحابة فالكتاب اي القران الكريم يعتبرها عذاب وعقاب وأدوات الردع

---

[1] كما في الحديث الذي أخرجه ابوداود 4607 والترمذي 2676 وصححه الألباني ومنه (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين...) وسنة الخلفاء الراشدين الأربعة آيضا مصدرللتشريع.

والزجر يستخدمها ربنا عزوجل في أوقات وبدرجات متفاوة تليق بمستوى عقاب الجناء فقد تكون مهلكة لقوم ومردعة لقوم على وفق حكمة الحكيم العليم سبحانه وتعالى، اما السنة النبوية ففي ببعض الأحاديث الصحيحة يتضح لنا ان الطواعين و الاوبئة هي عذاب وعقاب على الكفار والعصا , ورحمة واجر وشهادة للمؤمنين الصابرين المحتسبين ان شاء الله تعالى و الأدلة من السنة كمثال ما رواه البخاري عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطاعون شهادة لكل مسلم)[1] هذا اذا مات به مطلقا, وقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فأخبرها نبي الله صلى الله عليه وسلم(أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد)[2] فوفق هذه الأحاديث وغيرها يتضح ان نيل هذه الشهادة مطلقة للمسلم و قد تكون نيل الشهادة مقيدة بشروط ثلاث وهي أولا ان يعتقد المسلم ان ذلك قدرالله الجاري عليه فيستسلم و ان يصبر ولايسخط ولا يتضجر من ذلك ثانيا , وثالثا أن يمكث في البلد أو البيت ولا يفر فعند ذلك يعتبر له الشهادة الكاملة في سبيل الله تعالى كما قال امير المؤمنين في الحديث ابن حجر العسقلاني في كتابيه الفتح وبذل الماعون [3], وجل إعتمادي عليهما في هذا البحث كما سترى ان شاء الله تعالى.

اذا الطاعون والوباء والجائحة تعتبر عند المسلم عقيدة ودينا على انها رحمة و شهادة ودرجة عالية لمن يصبر ويحتسب ذلك من المؤمنين, وهي عذاب على الكافرين وعلى من يشاء الله عزوجل من عصاة المسلمين, والله اعلم, وهذا امر لا يعلمه كثير من المسلمين العوام عند وقوع الطواعين والأوبئة فيفسد عليهم اجرهم عند انعدام الصبر وظهور السخط والضجر من قدرالله عزوجل, و ايضا ينتشر الطاعون والعدوى اذا لم يلتزموا العزل الطبي والحجر الصحي في البلد أو البيت وفق ماجاء في الأحاديث الشريفة وسنة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تعامل مع طاعون عمواس , نسأل الله عز وجل السلامة للمسلمين في الدنيا و الأخرة , امين.

---

[1] أخرجه البخاري برقم 2830 ومسلم برقم 1916 والحديث مشروح في البحث

[2] أخرجه البخاري برقم 3474 والحديث مشروح في البحث

[3] بذل الماعون في فضل الطاعون لإبن حجر دار العاصمة الرياض طبعة 1411هـ , ص 177

وآيضا هذا البحث يشمل ويتعرض للطواعين والأوبئة عبر التاريخ القديم وبإيجاز وكذلك بإسهاب في عصر الصحابة وخير القرون وكيف تعاملوا مع طواعين وخاصة طاعون عمواس الذي وقع في زمن الخليفة الراشد عمربن الخطاب رضي الله عنه وكيف تعامل هو والمسلمون مع هذا الطاعون بحكمة وتدين وعمل بالنصوص الواردة من خير البرية عليه الصلاة والسلام فكان رضي الله عنه خير مثال وقدوة لنا عبر الزمان , ثم نتطرق للطواعين والأوبئة في العصر الحديث ونتعرج على التجربة والخبرة المصرية التي قام بها حاكم مصر آن ذاك محمد علي باشا رحمه الله وبالفعل انتصر على الطاعون وقلل من الخسائر البشرية والمادية بفضل الله , ثم نتطرق بعد ذلك للاوبئة والجوائح المعاصرة جدا بإختصار ولجائحة الكرونا أو ما يسمى بالكوفيد 19 بإسهاب ان شاء الله تعالى وهو الحامل لنا على هذا البحث الشيق والممتع وبعد الموافقة الكريمة والإعانة الجزيلة من القائمين بالجامعة الإسلامية المفتوحة, جزاهم الله خيرا والحمدلله على كل حال , وآيضا خلال البحث سنتطرق لمشكلة العدوى والعقيدة الإسلامية الصحيحة فيها وفي نفس الوقت ان شاء الله نزيل الإشكالية من تعارض بعض الأحاديث في العدوى ونجمع بينها ونعطي للقارئ الفكرة الصحيحة للعدوى والتي نخرجها من النصوص الشرعية وآيضا تقول بها البحوث الطبية الحديثة بحمدلله عزوجل , ونقوم بشرح أحاديث نبوية متعلقة بموضوع البحث ونخرجها تخريجا علميا صحيحاحسب الوسع ان شاء الله تعالى , ونخرج منها فوائد وقواعد فقهية وعقدية وقواعد علمية وعملية في التعامل مع الطواعين والأوبئة والعدوى ثم نضع خلاصة البحث و الخاتمة وننهي البحث بالمراجع وفهرستها وفهرسة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والمواضيع التي في البحث ان شاء الله تعالى.

بعد هذه المقدمة العقدية المأخوذة من الأحاديث النبوية الشريفة و المختصرة وخير الكلام ما قل ودل, وخير الكلام كتاب الله و خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم , وهنا يحلو أن ننبه على بعض مؤلفات علماء الإسلام حول الأوبئة و الطواعين من الزمن القديم للحديث , و هي منقولة من محقق كتاب ابن حجر العسقلاني بذل الماعون في فضل الطاعون في مقدمته الرائعة لتحقيق الكتاب , وهو المحقق أحمد عصام الكاتب جزاه الله خيرا. وآيضا ننقل ونذكر أسماء معظم الطواعين وما ألف فيها من المؤلفات

من العصور الإسلامية الأولى حتى العصر الحديث القريب وفق ماذكره الباحث الملهم في بحثه الشيق (كتيبة الطاعون)[1] وذلك لبيان أهمية هذا الموضوع , فنبدأ باسم الله و بحمده وقوته جل جلاله.

مؤلفات علماء الإسلام حول الأوبئة و الطواعين قديما وحديثا: [2]

١-كتاب الطواعين، لابن أبي الدنيا ت:٢٨١هـ

٣-حَلّ الحُبا لارتفاع الوبا، لولي الدين الملوي ت:٧٧٤هـ[3]

٤-الطب المسنون في دفع الطاعون، للتلمساني ت:٧٧٦هـ

٥-ذكر الوباء والطاعون، لأبي المظفر السر مري ت:٧٧٦هـ

٦-جزءٌ في الطاعون، للمبنجي الحنبلي ت:٧٨٥هـ (وقد إعتمد عليه ابن حجر في البذل)

٧-جزءٌ في الطاعون، للزركشي الشافعي ت:٧٩٤هـ

٨-تسلية الواجم في الطاعون الهاجم، لزين الدين القادري ت:٨٥٦هـ

٩-وصف الدواء في كشف آفات الوباء، للأنطاكي الحنفي ت:٨٥٨هـ

١٠-كتاب الطواعين، لابن المبرد ت:٩٠٩هـ

١١-فنون المنون في الوباء والطاعون، لابن المبرد.

١٢-ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، للسيوطي ت:٩١١هـ

١٣-رسالة الوباء وجواز الفرار منه، لليارحصاري الحنفي ت:٩١١هـ

١٤-تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين، للسنيكي ت:٩٢٦هـ

١٥-الإباء في مواقع الوباء، للبدليسي ت:٩٣٠هـ

---

[1] البحث من الموقع الألكتروني لمركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب www,vefaqdev.net بعنوان كتيبة الطاعون.. الجهود العلمية الإسلامية في مكافحة الأوبئة والطواعين – د. محمد علي عطا2020م

[2] انظر بذل الماعون في فضل الطاعون، لابن حجر، تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، طبعة 1411هـ و (ص361- 370).

١٦-راحة الأرواح في دفع عاهة الأشباح، للرومي ت:٩٤٠هـ

١٧-الشفاء في أدواء الوباء، للبطاشكبري ت:٩٦٨هـ

١٨-ما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون، للكرمي ت:١٠٣٣هـ

١٩-خلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون، للبيلوني ت:١٠٤٢هـ

٢٠-سر الساعون في دفع الطاعون، للخلوتي ت:١١٦٢هـ

٢١- حسن النبا في جواز التحفظ من الوبا، لابن بيرم ت:١٢٤٦هـ

٢٢-اتحاف المصنفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء ، للجزائري الحنفي ت:١٢٦١هـ

٢٣-جواب الوزير في حرمة امتناع الحاج عن دخول مكة عند الوباء الكبير، للخربوتي ت:١٣٢٠هـ -

24-بذل الماعون في فضل الطاعون [1]

للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ،

رحمه الله ، المتوفى عام ٨٥٢ للهجرة.

وقد إعتمدت في رسالتي هذه كثيرا على هذا الكتاب وفتح الباري فرحم الله عزوجل المؤلف وجعل الجنة مثواه وأيانا والمسلمين أجمعين , أمين.

---

[1] انظر بذل الماعون في فضل الطاعون، لابن حجر، تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض،طبعة 1411هـ و (ص361- 370).

الأوبئة والطواعين والمؤلَّفات فيهما على حسب القرون الهجرية :[1]

القرن الأول:

الطواعين: حدث فيه طاعون شيرويه بالمدائن بفارس في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وطاعون عمواس بالشام مات فيه خمسة وعشرون ألفًا، سنة(17هـ) في زمن عمر بن الخطاب، وطاعون الكوفة (49هـ)، والطاعون الذي مات فيه زياد بن أبيه سنة(53هـ)، وطاعون بمصر سنة(66هـ)، وطاعون الجارف بالبصرة قيل سنة(67هـ)، وقيل(69هـ)، وقيل(70هـ)، وقيل(72هـ)، وطاعون الفتيات بالبصرة سمي بذلك لكثرة من مات فيه من الفتيات العذارى، قيل سنة (82هـ)، وقيل(84)، وقيل(85هـ)وقيل (86هـ)، وقيل(87هـ)، ثم طاعون سنة وفاة عبد العزيز بن مروان(86هـ)، ثم طاعون الأشراف بواسط، ثم طاعون عدي بن أرطاة سنة(100هـ).

المؤلَّفات: لم تصلنا فيه مؤلفات عن هذه الظاهرة، ولم يكن عصر تصنيف علمي.

القرن الثاني:

الطواعين: حدث فيه: طاعون سنة (107هـ) بالشام، ثم طاعون عام(115هـ) بالشام أيضًا، ثم طاعون غراب سنة(127هـ)، ثم طاعون سلم بن قتيبة بالبصرة سنة(131هـ)، كل ذلك في عهد الدولة الأموية، وفي الدولة العباسية طاعون الري عام(134هـ)، ثم طاعون بغداد سنة(146هـ).

المؤلَّفات: لم يصلنا فيه أيضًا أي تأليف.

---

[1] البحث من الموقع الإلكتروني ل مركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب بعنوان كتيبة الطاعون.. الجهود العلمية الإسلامية في مكافحة الأوبئة والطواعين – د. محمد علي عطا 24/03/2020 www,vefaqdev.net

القرن الثالث:

الطواعين: كان فيه طاعون بالبصرة سنة(221هـ)، ثم طاعون بالعراق سنة(249هـ).

المؤلَّفات: كان فيه من المؤلَّفات:

- في الأبخرة المصلحة للجو من الوباء، للكندي(ت 260هـ)، مفقود، ولكن نقل عنه كثيرًا التميمي الآتي.
- رسالة في إيضاح العلة في السمائم القاتلة السمائية وهو القول المطلق في الوباء، للكندي(ت260هـ)، مفقود.
- رسالة في الأدوية المشفية من الروائح المؤذية، للكندي(ت260هـ)، مفقود.
- كتاب الطواعين، لابن أبي الدنيا (ت281هـ)، مفقود.
- كتاب في الإعداء، قسطا بن لوقا (ت300هـ تقريبًا)، مطبوع في دورية أجنبية، ذكرها لطف الله قاري.

• القرن الرابع:

- **الطواعين**: حدث فيه: طاعون سنة(301هـ)، ثم طاعون أصبهان سنة(324هـ)، ثم طاعون سنة(346هـ).
- **المؤلَّفات**: وألف فيه:
- السبب في قتل ريح السموم أكثر الحيوان، للرازي(ت313هـ)، مخطوط.
- الرسالة الوبائية، للرازي(ت313هـ)، مخطوطة.
- نعت الأسباب المولدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في ذلك وعلاج ما يتخوف منه، ابن الجزار(ت369هـ)، مفقود ومنه نقول عند التميمي وعلي بن رضوان الآتيين.
- مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء، محمد بن أحمد التميمي المقدسيً (كتبه عام 370هـ)، وحققه يحي الشعار، معهد المخطوطات العربية، 1999م.

- خطبة في ذكر الموت والوباء، للخطيب ابن نباتة (ت374هـ)، مخطوطة بخزانة جامع القرويين.

- **القرن الخامس:**

- **الطواعين**: حدث فيه طاعون البصرة سنة(406هـ)، ثم طاعون عظيم ببلاد الهند وقارة آسيا سنة(423هـ)، ثم طاعون شيراز وواسط والأهواز والبصرة وبغداد سنة(425هـ)، ثم طاعون بالموصل والجزيرة وبغداد سنة(433هـ)، ثم طاعون بخارى الممتد لأذربيجان والأهواز وواسط والبصرة وسمرقند سنة(449هـ)، ثم طاعون الحجاز واليمن سنة(452هـ)، ثم طاعون مصر سنة(455هـ)، ثم طاعون دمشق سنة(469هـ)، ثم طاعون سنة(478هـ) الذي بدأ بالعراق ثم عمَّ الدنيا.
- **المؤلفات**: أُلِّف فيه:
- رسالة في تحقيق أمر الوباء والاحتراز منه وإصلاحه إذا وقع، لأبي سهل المسيحي(ت401هـ)، حققه لطف الله قاري في كتابه "رسالتان في الجغرافيا الطبية وتأثير البيئة مع دراسة عن تراثنا العلمي حول الموضوع"، لطف الله قاري، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، 1426هـ/2005م.
- دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية، ابن سينا(ت428هـ)، حققه زهير البابا، حلب، معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، 1984م.
- دفع مضار الأبدان بأرض مصر، علي بن رضوان(ت460هـ)، طبع بأمريكا وطبع ببغداد سنة 1988م، وبالكويت سنة 1994م طبعتين غير جيدتين كما قال لطف الله قاري.

- **القرن السادس:**

- **الطواعين:** حدث فيه طاعون ببغداد سنة(575هـ)، ثم فناء في مصر بغير الطاعون سنة(597هـ).
- **المؤلفات:** أُلِّف فيه:
- الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، عبد اللطيف البغدادي(ت629هـ)، طبع في لندن وفي دمشق طبعات غير جيدة كما قال لطف الله قاري. وقد جعلته في هذا القرن رغم أن مؤلفه مات في القرن السابع؛ لأنه تيقن لدي أنه ألفه بسبب طاعون مصر في هذا القرن، كما يتضح من عنوانه.

- **القرن السابع:**

- **الطواعين:** حدث فيه طاعون بمصر سنة(633هـ).
- **المؤلفات:** وألف فيه:
- مقال في "إذا نزل الوباء بأرض قوم"، لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن عمران المزدغي الفاسي(ت655هـ)، مفقود.
- جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض، ابن القُف(ت685هـ)، حققه سامي حمارنة، عمان، الجامعة الأردنية، 1989م.

- **القرن الثامن:**

- **الطواعين**: حدث فيه طاعون بمصر سنة(720هـ)، ووباء سنة(749هـ)، الذي دخل مكة وهو سبب تأليف مقامة ابن الوردي والصفدي وكتاب ابن أبي حجلة، ثم طاعون القاهرة ودمشق سنة(764هـ)، ثم طاعون سنة(769هـ)، ثم طاعون بدمشق سنة(771هـ)، ثم طواعين كلها بمصر سنة(781هـ)، ثم عاد سنة(783هـ)، ثم طاعون سنة(791هـ).

- **المؤلفات**: وألف فيه:

- النَّبَا عن الوَبَا، لزين الدين بن الوردي(ت749هـ)، كتبها بسبب وباء انتشر في غالب العالم وفي حلب بدءًا من (742هـ) واستمر حتى عام (749هـ)، وقد توفي بهذا الطاعون، وذكرها ابن حجر في بذل الماعون، وأَلَّف عليه رائد عبد الرحيم دراسة نقدية، نشرت في مجلة جامعة النجاح، مجلد 24(5)، 2010م.
- كتاب الطاعون، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان المالقي(ت763هـ)، مفقود.
- إصلاح النية في المسألة الطاعونية، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمي البلياني(ت764هـ)، مخطوط.
- مقامة الخليل بن أيبك الصفدي(ت764هـ)، ذكرها بمناسبة الطاعون الواقع عام (749هـ)، ذكرها ابن حجر في "بذل الماعون" ص382.
- تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، لأبي جعفر أحمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن خاتمة الأنصاري(ت770هـ)، حققه محمد حسن في كتاب ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف(749هـ)، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، 2013م.
- جزءٌ في الطاعون، لتاج الدين السبكي(ت771هـ)، مفقود، وقد مات بالطاعون رحمه الله.
- حَلّ الحُبا لارتفاع الوبا، لولي الدين الملوي (ت774هـ)، مخطوط بدار الكتب المصرية ضمن مجموع، وقائم على تحقيقه الأستاذ صالح الأزهري الخبير بدار الكتب المصرية.

- مقنعة السائل عن المرض الهائل، لذي الوزارتين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني، لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ)، ألفه في الطاعون الذي ضرب الأندلس سنة(749هـ)، وقد حققتها حياة قارة كما سبق. كما حققها محمد حسن في كتاب ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف(749هـ)، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، 2013م.
- شرح رسالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني الغرناطي(كان حيًّا 769هـ)، مخطوط.
- ذكر الوباء والطاعون، لأبي مظفر السُّرَّمري يوسف بن محمد العبادي الدمشقي الحنبلي(ت776هـ)، مخطوط بتشستربتي، وحققه شوكت رفقي شوكت، نشر في الدار الأثرية، عمان، الأردن، ط1، 1425هـ.
- تحقيق النَّبا عن أمر الوَبَا، لأبي عبد الله محمد بن علي بن عبدالله اللَّخْميّ الشَّقُوري (كان حيًّا سنة776هـ)، مفقود.
- تقييد النصيحة، لأبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الله اللخمي الشَّقُوريّ، (كان حيًّا سنة776هـ)، له عدة نسخ في خزانة عبد الهادي، والخزانة العامة، والأسكوريال، حققه محمد حسن في كتاب ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف الذي سبقت الإشارة إليه.
- رسالة في اجتناب وباء الطاعون، للشَّقوري، محمد بن علي اللَّخمي الأندلسي(كان حيًّا سنة776هـ)، لها عدة مخطوط في الخزانة العامة، وخزانة عبد الهادي، والأسكوريال.
- دفع النقمة في الصلاة على نبي الرحمة، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن أبي حجلة التلمساني(ت776هـ)، مخطوط بالأسكوريال.
- الطب المسنون في دفع الطاعون، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن أبي حجلة التلمساني(ت776هـ)، مخطوط بالأوقاف العامة بطرابلس، ونقل عنه السيوطي.
- كتاب الطاعون وأحكامه، لشمس الدين المنبجي الحنبلي(ت785هـ)، ألفه في طاعون سنة(764هـ)، حققه أحمد بن محمد بن غانم آل ثاني، روايا للدراسات والبحوث، ودار ابن حزم، وهو من مصادر ابن حجر في بذل الماعون وأكثر من النقل عنه.

- جزءٌ في الطاعون، لبدر الدين الزركشي الشافعي(ت794هـ)، مفقود، وهو من مصادر ابن حجر في بذل الماعون.

- **القرن التاسع:**

- **الطواعين**: وبمصر أيضًا سنة(809هـ)، وسنة (813هـ)، ثم سنة(819هـ)، ثم سنة(821هـ)، ثم سنة(822هـ)، ثم سنة (827) بالقدس، ثم بمصر سنة (833هـ) وكان واسعًا وسمي بطاعون الفصل الكبير أو الموت الأسود وقد اجتاح جزءًا كبيرًا من العالم([5])، ثم سنة(841هـ)، وسنة(849هـ)، ثم طاعون سنة(853هـ)، ثم طاعون سنة(952هـ)، وسنة(859هـ)، ثم طاعون سنة(864هـ)، ثم طاعون سنة(873هـ)، وطاعون سنة(886هـ) بالأندلس، ثم طاعون سنة(897هـ) بالقدس.

- **المؤلفات**: وألف فيه:

- المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية، لأبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن هيدور الفاسي التادلي(ت816هـ)، مخطوط في مؤسسة علال الفاسي، وخزانة عبد الهادي، ومكتبة المعهد الإسلامي.
- مقامة في أمر الوباء، لأبي علي عمر بن علي بن الحاج السعيدي المالقي(كان حيًّا سنة844هـ)، ذكرها المقَّري في أزهار الرياض(125/1-132).
- بذل الماعون في فضل الطاعون، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)، حققه كيلاني خليفة، مكتب التوعية الإسلامية، 1993م. وله مخطوطة في فيض الله أفندي، وشهيد علي باشا، وهناك مخطوطة بعنوان رسالة في حق الطاعون منسوبة له في أسعد أفندي مدرسة سي

يكي مدرسة، لعلها نسخة من هذا. وعليه مختصر للحدادي سيأتي برقم(28) وللسيوطي برقم(36)، ولمجهول بعنوان الملتقط سيأتي برقم(90).

- دعاء لدفع الطاعون، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)، مخطوط بمكتبة المعهد الإسلامي.
- تسلية الواجم في الطاعون الهاجم، لزين الدين الصالحي القادري(ت856هـ)، مفقود.
- الأدعية المنتخبة في الأدوية المجربة، للبسطامي عبد الرحمن الأنطاكي الحنفي زين الدين(ت858هـ)، مخطوط في رئيس الكتاب، ونور عثمانية.
- وصف الدواء في كشف آفات الوباء، لعبد الرحمن الأنطاكي الحنفي البروسي(ت858هـ)، مفقود.
- إظهار النَّبا في سؤال دفع الوبا، لعلم الدين صالح البلقيني(ت868هـ)، تحقيق الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن، ضمن مجموع فتاوى صالح البلقيني.
- مختصر بذل الماعون، للشيخ شرف الدين يحيى بن مخلوف الحدادي المصري الشافعي(ت871هـ)، من تلاميذ ابن حجر، مفقود.
- وصيَّة النَّاصح الأوَد في التحفُّظ من المرض الوافد إذا وَفَد، لأبي عمرو محمد بن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن محمد بن منظور القيسي المتوفى(ت888هـ أو 889هـ)، مخطوط.
- الطِّبُّ في تدبير المسافرين ومرض الطاعون، لعبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن التونسي(ت899هـ)، مخطوط.
- الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، يجيب عن أسئلة تتعلق بالطاعون الذي وقع بالأندلس عام 886هـ، لأبي عبد الله محمد بن القاسم بن أبي يحيى الأنصاري الرَّصَّاع التونسي (ت894هـ)، مخطوط.

- **القرن العاشر:**

- **الطواعين**: طاعون ببيت المقدس وما حولها سنة(969هـ)، ثم (980هـ-982هـ)، ثم(987هـ)، ثم (995هـ).

- **المؤلفات**: أُلِّف فيه:

- فتاوى في الطَّاعون، لابن أبي شرف محمد بن محمد المري المقدسي الشافعي(ت906هـ)، مخطوط في كيمبريدج.
- كتاب الطَّواعين، لابن المبرِّد الحنبلي (ت909هـ)، مخطوط في أحمد الثالث كما أفاد الشيخ علي الصالح الصميعي.
- فنون المِنون في الوَبَاء والطَّاعون، لابن المبرِّد الحنبلي يوسف بن حسن الصَّالحي (ت909هـ)، مفقود.
- ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، للسيوطي(ت911هـ)، اختصر فيه بذل الماعون لابن حجر، وأورد فيه مقامة ابن الوردي، والصفدي، والمقامة الدرية في الطاعون الذي وقع في البلاد الرومية والحلبية والشامية والمصرية، حققه محمد علي الباز، دار القلم دمشق، 1418هـ. وله مخطوطات كثيرة في: دار الكتب الظاهرية، ومعهد الاستشراق، ومركز دائرة المعارف الإسلامية، والمكتبة الوطنية بأنقرة، ومدرسة عالي شهيد، والأسكوريال، والأمبروزيانا، والحرم المكي، وقويون أوغلو، وأسعد أفندي ثلاث نسخ، وبلدية الإسكندرية، ودار العلوم، والأزهرية وله نسخة فيه باسم مختصر بذل الماعون، ومكتبة الدولة، والمجلس الوطني، الجامعة النظامية، ودار إسعاف النشاشيبي، ومكتبة المسجد الأقصى، وجامعة برنستون، ونور عثمانية، وشهيد علي، وبشير أغا، وكتبخانة إسميخان سلطان، وحفيد أفندي، ورئيس الكتاب، والخزانة العامة، وهناك مخطوطة في السليمانية جامع شقي، بعنوان رسالة في حق الطاعون منسوبة له، لعلها نسخة منه، وحقق له كتاب باسم رسالة في مرض الطاعون لجلال الدين السيوطي، تحقيق إياد عبد الحسين صيهود البخاري، وعمار محمد يونس الصاعدي.

- المقامة الدرية في الطاعون الذي وقع في البلاد الرومية والحلبية والشامية والمصرية، السيوطي(ت911هـ)، مخطوط ببشير أغا.
- رد السيوطي (ت911هـ) على سؤال عن سبب الوباء، جاءه السؤال نظمًا، فرد عليه نظمًا، ومنه نسخة في مكتبة الملك عبد العزيز.
- رسالة الوباء وجواز الفرار منه، لمصلح الدين مصطفى اليارحصاري الحنفي(ت911هـ)، مفقود.
- مِجَنَّة (محنة) الطاعون والوباء، لإلياس اليهودي بن إبراهيم الأسياني، ألفها سنة (915هـ) للسلطان بايزيد الثاني، مخطوط بمكتبة قطر الوطنية كما أفاد محمود زكي، وفي تشستربيتي، وآستان قدس رضوي، وأسعد أفندي.
- تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين، للقاضي زكريا بن محمد الأنصاري السبكي(ت926هـ)، أو لشيخ الإسلام أحمد بن رشيد صدقي الرومي الحنفي(ت1250هـ)، مفقود.
- الإباء في مواقع الوباء، أو رسالة في الطاعون وجواز الفرار عنه، أو رسالة الأدباء (الإباء) عن مواقع الوباء وجواز الفرار منه، لإدريس بن حسام الدين علي البدليسي (930هـ)، مخطوط في برنستون كما قال محمود زكي، ومكتبة الغازي خسرو.
- حصن الوباء، للبدليسي إدريس بن حسام الدين(ت930هـ)، مخطوط بمكتبة محمد صالح البطيسي.
- رسالة الطاعون، للبدليسي إدريس بن حسام(ت930هـ)، مخطوط في مكتبة سليم أغا.
- راحة الأرواح في دفع عاهة الأشباح، لابن كمال باشا(ت940هـ)، وله مخطوطات كثيرة في: دار الكتب الظاهرية، ومحمد مظهر الفاروقي، ورئيس الكتاب، وأرشيف موستار، والمكتبة الوطنية بأنقرة، وجامعة الملك سعود، ومكتبة بيت الفتوى، ومكتبة قونية، ودار الكتب المصرية، والغازي خسرو، والمتحف العراقي، وراغب باشا، وشهيد علي باشا، والحرم المكي، ومكتبة الدولة، والأزهرية.
- رسالة في المنافع والخواص لدفع الطاعون والوباء، لابن كمال باشا(ت940هـ)، مخطوطة في راغب باشا، وتوجد رسالة في الوباء والطاعون، لابن كمال باشا، مخطوطة في الأزهرية، ومجمع اللغة العربية، لعلها نسخة من هذا الكتاب.

- رسالة في بيان دعاء الطاعون، لابن كمال باشا(ت940هـ)، مخطوطة في فاتح جامع شريفي.
- دعاء يقرأ ويكتب في زمان الطاعون، للتنبكتي أحمد بن أحمد السنهوجي(ت943هـ)، مخطوط بمركز أحمد بابا.
- منظومة في الطاعون والوباء، أبو الحسن البكري الصديقي الشافعي(ت952هـ)، مخطوط في مكتبة آية الله مرعشي.
- سؤال في الطاعون وجوابه، أبو الحسن البكري الصديقي الشافعي(ت952هـ)، مخطوط بدار الكتب الظاهرية.
- تحفة النُّجباء بأحكام الطاعون والوباء، لشمس الدين بن طولون الصالحي(ت953هـ)، مفقود.
- عمدة الراوين في بيان أحكام الطواعين، لشمس الدين محمد بن محمد الرُّعيني المغربي المكي الطرابلسي، الحطَّاب(ت954هـ)، مخطوط.
- البشارة الهنية بأن الطاعون لا يدخل مكة والمدينة، لشمس الدين محمد بن محمد الرُّعيني المغربي المكي الطرابلسي، الحطَّاب(ت954هـ)، مفقود.
- القول المبين في أن الطاعون لا يدخل البلد الأمين، لشمس الدين محمد بن محمد الرُّعيني المغربي المكي الطرابلسي، الحطَّاب(ت954هـ)، مفقود.
- تسلية المحزون مما وقع في سنة تسع وثمانين من الطاعون، للقرافي علي بن أحمد الأنصاري(ت964هـ)، مخطوط بعارف حكمت.
- رسالة الشِّفاء في أدواء الوباء، طاشكبرى زاده عصام الدين أحمد بن خليل الرومي(ت968هـ)، مطبوع قديمًا في المطبعة الوهبية، القاهرة، وله مخطوطة في دار الكتب الظاهرية، ودار الكتب المصرية، والمكتبة البريطانية، والغازي خسرو، والمكتبة الوطنية بأنقرة، وجامعة الملك سعود.
- رسالة في الطعن والطاعون، لابن نُجيم زين الدين المصري (ت970هـ)، له مخطوطات كثيرة في: دار الكتب الظاهرية، والمجلس الوطني، والغازي خسرو، والمكتبة البريطانية، وولي الدين أفندي، ومكتبة بيت الفتوى، ودار الكتب الظاهرية، والمجلس الوطني، وجامعة الملك سعود، ونور عثمانية، والحرم المكي، والمولوية، ووردت باسم رسالة في بيان الطعن والطاعون في الأزهرية،

ورئيس الكتاب، وباسم "رسالة في بيان رصد الطاعون"، وفي السليمانية باسم"رسالة في ما ضبطه أهل النقل في خبر الفصل في الطعن والطاعون".

- مسألة الطاعون، لابن حجر الهيتمي(ت973هـ)، ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية، مخطوط بدار الكتب الظاهرية، وجامعة الملك سعود.
- ما يجب أن يعيه الواعون في مسائل ترك الطهور وذكر الطاعون، الإمام شرف الدين المتوكل يحيى الزيدي(ت1555م/977م)، مخطوطة في مكتبة القاضي يحيى، وجامعة الملك سعود.

- **القرن الحادي عشر:**

- **الطواعين**: حدث فيه طاعون عام (1028هـ)، في القدس وما حولها.
- **المؤلفات**: وأُلِّف فيه:

- بيان ما يكتفي به الساعون في فهم أمر الطاعون، للبهنسي محمد بن محمد العقيلي الشافعي الخلوتي(ت1001هـ)، مخطوط بمكتبة دار العلوم.
- ما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون، لمرعي الكرمي المقدسي(ت1033هـ)، حققه خالد بن العربي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2000م كما أخبرني الدكتور محمد أحمد شهاب.
- تحقيق الظُّنون بأخبار الطَّاعون، أو السِّرُّ المصون في أخبار الطاعون، لمرعي الكرمي المقدسي الحنبلي(ت 1033هـ)، مخطوط بدار الكتب الوطنية، وأسعد أفندي، وأحمد باشا، وجامعة الرياض.

- خلاصة ما تحصَّل عليه السَّاعون في أدوية دفع الوباء والطَّاعون، لمحمد بن فتح الله البيلوني الحلبي الموصلي الشافعي(ت1042هـ)، مخطوط له عدة نسخ في: الأوقاف العامة بطرابلس، وجامعة الملك خالد، ودار الكتب المصرية، والأزهرية، وجامعة الملك سعود، وأسعد أفندي.
- تحقيق الأنباء فيما يتعلَّق بالطَّاعون والوباء، لأبي حامد العربي الفاسي الفهري(ت1052هـ)، مفقود.
- خلاصة ما رواه الواعون من الأخبار الواردة في الطَّاعون، لمجهول، مخطوط، قيل لابن حجر، سرد فيه حوادث الطاعون إلى سنة 848هـ، ثم أكمله بعض العلماء إلى سنة (1053هـ).
- حدائق العيون الباصرة في أخبار أحوال الطاعون والآخرة، للعوفي إبراهيم بن أبي بكر الدنابي الحنبلي(ت1094هـ)، مخطوط له عدة نسخ في: دار الكتب، وكمبريدج، والأزهرية، وغيرها.
- القانون في الطاعون، أحمد الحصوني(ق11هـ)، مخطوط بدار الكتب المصرية.

- **القرن الثاني عشر:**

- **الطواعين**: حدث فيه طاعون عام(1156هـ)، عوام(1174هـ)، وعام (1200هـ) في بيت المقدس وما حولها.
- **المؤلفات**: وأُلِّف فيه:
- مسكن الشُّجون في حُكم الفرار من الطَّاعون، للسيد نعمة الله الجزائري البصري الإمامي الشوشتري(ت1112هـ)، مخطوط له نسخ في: مركز إحياء التراث الإسلامي، ومدرسة عالي شهيد، وآستان قدس رضوي، ومكتبة الدولة.
- منحة الطَّالبين لمعرفة أسرار الطَّواعين، لزين الدين المناوي(ت1131هـ)، مفقود.
- جواب في أحكام الطاعون، لأحمد بن مبارك بن محمد اللمطي السِّجلماسي(ت1155هـ)، مخطوط.
- تأليف في أحكام الطاعون الواقع عام(1156هـ)، لمحمد بن الحسن البناني، مخطوط.
- سر السَّاعون (كذا) في دفع الطاعون، لأبي المعارف قطب الدين البكري الصديقي الحنفي الخلوتي(ت1162هـ)، مفقود.

- **القرن الثالث عشر:**
- **الطواعين**: حدث فيه طاعون عام(1228هـ).
- **المؤلفات**: وأُلِّف فيه:
- جهاز المعجون في الخلاص من الطاعون، لسعد الدين سليمان بن عبد الرحمن مستقيم زاده الرومي الحنفي(ت1202هـ)، مفقود.
- الرسالة الطاعونية، محمد مهدي بحر العلوم، (ت1212هـ). مخطوطة.
- تقييد في الطاعون، لمحمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل الزيزي(ت1214هـ)، مخطوط.
- أجوبة في أحكام الطاعون، لمحمد بن أحمد بن محمد الحاج الرهوني الوزاني (ت1230هـ)، مخطوط.
- حُسْن النَّبَا في جواز التحفظ من الوَبَا، للسيد محمد بن محمد الأول بن بيرم التونسي (ت1246هـ)، أو(1247هـ)، مخطوط له نسخ بالمسجد النبوي، وكلية الباقيات الصالحات.
- دراسة في أحوال الوباء المبيدة، تنسب للخوري عيسى بيترو الأورشليمي(ت1250هـ)، مخطوطة بمجمع اللغة العربية.
- إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء، الخوجة حمدان بن عثمان الجزائري الحنفي(ت1255هـ)، له نسختان في الغازي خسرو، ونشر في طبعة حجرية، وحققه محمد عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، عام 1968م.
- ترجمة إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء، الخوجة حمدان بن عثمان الجزائري الحنفي(ت1255هـ)، مخطوطة بالغازي خسرو.
- فتوى في وباء الطاعون، تنسب لمحمد بيرم الرابع(ت1278هـ)، مخطوط بكلية الباقيات الصالحات.

- **القرن الرابع عشر:**

- **الطواعين**: ولم أقف على من حصر طواعينه.
- **المؤلفات**: وأُلِّف فيه:

- كتاب الصفوة الطبية والسياسية الصحية في الأمراض المعدية والوبائية والفوائد العلاجية الضرورية لحفظ الصحة البشرية والحيوانية، محمد صفوت(ت1308هـ)، مطبعة الصحف والمصاحف، القاهرة.
- أقوال المطاعين في الطعن والطَّواعين، لأبي حامد محمد العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي الغريسي(ت1313هـ)، مخطوط.
- هذا تنبيه فيما يخص داء الجدري المتسلط الآن وذلك بشرح موجه إلى أرباب الديوان بمصر القاهرة، السيتوين دجنط رئيس الأطباء في الجيش الفرنساوي بجهة الشرق، 20 شعبان، سنة 1314هـ، وطبع ثانيا بدار مطبعة الجمهور الفرنساوي في 4 من شعبان سنة 1315هـ، ترجمها للعربية القس رافايل راهب بمصر، متاح على صفحة قناة البصاص التاريخية.
- جواب الوزير في حرمة امتناع الحاج عن دخول مكة عند الوباء الكبير، لعبد الحميد بن عمر نعيمي الخربوتي الرومي الحنفي(ت1320هـ)، مفقود .

- **ثانيًا: مؤلفات في الأوبئة والطواعين مجهولة الزمن:**

- رسالة في الوباء والطاعون، مجهولة المؤلف، منها نسخ في مجمع اللغة العربية تنسب لسليمان بن كمال باشا، والأزهرية.
- تنبيهٌ الساعون في الجنِّ وإبليس والطَّاعون، مجهول، مخطوط بمكتبة الدولة المصرية.
- الماعون في الكلام على ما يتعلق بالوباء والطاعون، لمجهول، مخطوط.

- الدروع والظباء في دفع الطاعون والوباء، لمحمد بن موسى بن محمد بن محمد بنحسين بن ناصر بن عمر، مفقود.
- أجوبة عن أسئلة فقهية في الطاعون، لمجموعة من الفقهاء، مخطوط.
- الملتقط من بذل الماعون في فضل الطاعون والزيادة عليه، مجهول، مخطوط برئيس الكتاب.
- دعاء الطاعون، مخطوطة بخسرو باشا.
- رسالة في الأدعية والأذكار، لمجهول، مخطوط بمركز أحمد بابا.
- بذل الماعون في الأخبار الواردة في الطاعون، للشيخ محمد بن عبد العظيم، مخطوط بالجامعة النظامية.
- رسالة في الطاعون، وتحت هذا العنوان كتب كثيرة مجهولة المؤلف في كل من: المسجد الأقصى، المكتبة البريطانية، وجامعة الملك سعود، ودار الكتب المصرية، ودار العلوم، ومكتبة قونية، ومركز دائرة المعارف الإسلامية، وعاشر أفندي، والحميدية، ويكي جامع شريف، ونور عثمانية.
- رسالة في الطاعون، لأحمد بن مصطفى الصاوي، مخطوطة بالأزهرية.
- رسالة في الطاعون، لإسماعيل الباجاتي، مخطوط بجامعة الملك سعود.
- رسالة في الطاعون، لمصطفى الدهنة، مخطوطة بالأزهرية.
- رسالة في الطاعون، لعبد الغني، مخطوطة بمكتبة قويون أغلو.
- رسالة في رفع الوباء، لمجهول، مخطوطة في رئيس الكتاب.
- رسالة مختصرة مفيدة عن أحوال الوباء المبيدة، لمجهول، مخطوط.
- قصيدة تدفع الوباء، للعلوي، مخطوطة في أنوار العلوم.
- كتب وبائية، تنسب لميرزا ساوجي، مخطوط بمدرسة عالي شهيد.
- رسالة فيما ينفع من الوباء والطاعون، لمجهول، مخطوط بدار الكتب المصرية.
- دفع المنون في الاطلاع على أحوال الطاعون، مجهول، مخطوط بدار الكتب الظاهرية.
- أرجوزة توسلية لرفع وباء الطاعون، لمجهول، مخطوط.
- عيون الآثار فيما في الطاعون من الأخبار، لمجهول، مخطوط.

- طِلَسَّم العون في الدواء والصُّون عن الطاعون والوباء، المولى إياس. مفقود.
- عمدة الأدباء في دفع الطاعون والوباء، مجهول، مخطوط بأيا صوفيا.
- رسالة حديث الطاعون، مجهول، مخطوط بمكتبة يوسف أغا.
- رسالة في الفرار من الطاعون، لمجهول، مخطوط بجامعة كومبلوتنسي.
- المقالة في بيان الفرار من الطاعون والوباء، لمجهول، مخطوطة بدار الكتب المصرية، وأسعد أفندي.
- رسالة في دفع الطاعون، تنسب لعبد الغني أفندي، مخطوط بمكتبة الدولة.
- رسالة لدفع الطاعون، لمجهول، مخطوطة بمركز أحمد بابا.
- رسالة في دفع الطاعون بالدعاء، لمجهول، مخطوطة بدار الكتب المصرية.
- رسالة فيما ينفع من الوبا والطاعون، لمجهول، مخطوطة بدار الكتب المصرية.
- شرح داء طاعون، لمجهول، مخطوط بقونية.
- رسالة في أدعية الطاعون، لمجهول، مخطوطة في نور عثمانية.
- رسالة في الأدعية في الطاعون، لمجهول، مخطوطة في نور عثمانية.
- رفع المون في الاطلاع على أحوال الطاعون، لمجهول، مخطوط ببلدية الإسكندرية.
- سؤال عن الطاعون وإجابته، ينسب لمحمد بن منصور، مخطوط بمركز جمعة الماجد.
- قصيدة سعيد بن باب(كذا ولعلها بابا) في التضرع إلى الله في رفع الطاعون، مخطوطة بمركز أحمد بابا.
- رسالة في الأمراض الوبائية، تنسب لمحمد قاسم معالج السميات، مخطوطة بالمكتبة الوطنية النظامية.
- منظومة رائية في التخلص من الطاعون، لمجهول، مخطوط بغوتا.
- أدعية مأثورة لدفع الوباء والأمراض، لمجهول، مخطوط بمركز إحياء التراث الإسلامي.
- رسالة في حق الطاعون، بهذا العنوان عدة كتب مجهولة المؤلف في كل من: الحميدية، وأسعد أفندي، ولا لا إسماعيل، ولا أدري هم لكتاب واحد أم لا.

- رسالة في دفع الطاعون، لمجهول، منها بهذا العنوان مخطوطة في يحيى أفندي، وفي أسعد أفندي، ولا أدري هما واحد أم لا.
- رسالة في رصد الطاعون، لمجهول، مخطوطة في عاشر أفندي.
- رسالة في مداواة الطاعون، لمجهول، مخطوطة منها نسختان في الحميدية.
- رسالة فيما ضبطه أهل النقل في خبر الفصد في الطاعون، لمجهول، مخطوطة في السليمانية جامع شريفي.
- صحاح الأنباء في العدوى والوباء، أبو محمد القاري، طبع بالمكتبة الصوفية، الإسكندرية.
- الجمالية في تدبير الحميات الوبائية، تنسب لإبراهيم الطيب، مخطوط بدار الكتب المصرية.
- الرسالة الطوبائية، لمجهول، مخطوط بالمكتبة الوطنية بأنقرة.
- تدبير حفظ الصحة عند فساد الهواء وظهور الوباء، لمجهول، مخطوط بالخزانة العامة.
- الطاعون، لمجهول، مخطوط بعاشر أفندي.
- أخبار الطاعون، مخطوط بعاشر أفندي.
- رسالة في أخبار الطاعون، لمجهول، مخطوطة في أسعد أفندي.
- الدر المكنون في الكلام على الطاعون، لمجهول، مخطوط بعاشر أفندي.
- رسالة في إصابة الطاعون، لمجهول، مخطوطة في عاشر أفندي.
- رسالة في أحوال الطاعون، لمجهول، مخطوطة في عاشر أفندي.
- رسالة مباركة في حق الطاعون، لمجهول، مخطوطة منها تسع نسخ في بشير أغا.
- **ثالثًا: المؤلَّفات في العصر الحديث الحالي :**
- تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، محمد الأمين البزاز، جامعة الإمام محمد الخامس السوسي، الرباط، 1992م.
- رسالتان في الجغرافيا الطبية وتأثير البيئة مع دراسة عن تراثنا العلمي حول الموضوع، لطف الله قاري، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، 1426هـ/2005م.

- الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الإمبريالية، شلدون واتس، ترجمة أحمد محمود عبد الجواد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م.
- وباء الطاعون في الإسلام وإصابة المشهورين به حتى نهاية العصر الأموي، د زين العابدين موسى الجعفر، وآخرين، مجلة جامعة كربلاء، المجلد الثامن، العدد الأول إنساني، 2010م، ص104.
- الطاعون وبدع الطاعون، الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير، حسين بوجرة، مركز دراسات الوحدة العربية، 2011م.
- وباء الطاعون وأثره على مدينة القاهرة في العصر المملوكي، فتحي سالم حميدي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 12، العدد3، سنة 2013م.
- التعامل مع الأوبئة في ضوء الفقه الإسلامي، علي محمد علي قاسم، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2014م.
- موجات الأوبئة والقحط والكوارث الطبيعية في العراق خلال العهد العثماني(1830-1917م)، وميض سرحان ذياب، بغداد، 2017م.
- تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير(1850-1918)، دراسة في ضوء وثائق وأرشيفات الخارجية والصحة الأمريكية والبريطانية وأرشيفات دولية أخرى، قاسم الجميلي، دار دجلة، 1438هـ.
- الطاعون في العصر الأموي صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة الأموية، أحمد العدوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2018م.
- الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر عصر سلاطين المماليك، حامد زيان غانم، د ن.
- -الطب الإمبريالي والمجتمعات المحلية" ديفد أرنلود, ترجمه الطبيب مصطفى إبراهيم فهمي
- -"الموت الأسود" لجوزيف بيرن،ترجمه للعربية عمر سعيد الأيوبي
- كتاب الموت في مصر والشام للمؤلف هو بلقاسم الطبابي الطبعة الأولى 2014[1]

---

[1] الموقع الإلكتروني مركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب بحث بعنوان كتيبة الطاعون.. الجهود العلمية الإسلامية في مكافحة الأوبئة والطواعين – د. محمد علي عطا 2020م والرابط www,vefaqdev.net

نبدأ في الأبواب:

الباب الأول:

الفصل الأول : التعريفات والاصطلاحات اللغوية والطبية قديما وحديثا

تعريف الطاعون : هو لغة: بوزن فاعول من الطعن عدلوا به عن أصله ووصفوه دالّا على الموت العام كالوباء.[1]

وفي المعجم الوسيط: الطاعون داء ورمي وبائي سببه مكروب يصيب الفئران , وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الأنسان.[2]

وقال أبو علي ابن سينا : الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالا يحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن ; وأغلب ما تكون تحت الإبط أو خلف الأذن أو عند الأرنبة . قال : وسببه دم رديء مائل إلى العفونة والفساد يستحيل إلى جوهر سمي يفسد العضو ويغير ما يليه ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة فيحدث القيء والغثيان والغشي والخفقان ، وهو لرداءته لا يقبل من الأعضاء إلا ما كان أضعف بالطبع ، وأردؤه ما يقع في الأعضاء الرئيسية ، والأسود منه قل من يسلم منه ، وأسلمه الأحمر ثم الأصفر . والطواعين تكثر عند الوباء في البلاد الوبئة ، ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وبالعكس ، وأما الوباء فهو فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده.[3](القانون في الطب) .و قال صلّى الله عليه وسلم: «الطاعون وخز أعدائكم من الجن وهو كلم شهادة». [4][الحاكم 1/ 50] صححه الحاكم وغيره. و جاء في لسان العرب : الطاعون لغة: المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد

---

[1] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري تحقيق أحمد عطار دار العلم للملايين بيروت 1990م

[2] المعجم الوسيط , لمعاجم اللغة العربية الموقع الإلكتروني www.islamspirit.com

[3] القانون في الطب لإبن سينا الطبعة الأولى 1420 هـ دار الكتب العلمية بيروت تحقيق الضناوي 4\170 ³

[4] رواه الحاكم في المستدرك ط 1422هـ دار الكتب العلمية بيروت تحقيق مصطفى عطا 1\50

له الأمزجة والأبدان.[1]و قال النووي: الطاعون قروح تخرج في الجسد فتكون في الآباط أو المرافق أو الأيدي أو الأصابع وسائر البدن، ويكون معه ورم وألم شديد، وتخرج تلك القروح مع لهيب ويسود ما حواليه أو يحتقن أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة، ويحصل معه خفقان القلب والقيء.[2]صحيح مسلم بشرح النووي ونقل عنه إبن حجر في فتح الباري,[3]

وفي حديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلّى الله عليه وسلم: «لاتفنى أمتي إلا بالطعن أو الطاعون قلت الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف) ».[4].

قال ابن قيم الجوزية في الطب النبوي بعد أن يبين الصلة بين الوباء والطاعون:

هذه من القروح والأورام، والجراحات هي آثار الطاعون وليست نفسه ولكن الأطباء لما لم تدرك منه إلا الأثر الظاهر جعلوه نفس الطاعون.

والطاعون يعبر به عن ثلاثة أمور:أحدها: هذا الأثر الظاهر، وهو الذي ذكره الأطباء., الثاني: الموت الحادث عنه، وهو المراد بالحديث الصحيح في قوله صلّى الله عليه وسلم: «الطاعون شهادة لكل مسلم». [البخاري 4/ 29].[5], الثالث: السبب الفاعل لهذا الداء، وقد ورد في الحديث الصحيح: «أنه بقية رجز أرسل علي بني إسرائيل». [البخاري 4/ 213][6].

ويرى ابن القيم أن بين الوباء والطاعون عموم وخصوص؛ فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعون، وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون؛ فإنه واحد منها. (أي: الطاعون أحد أنواع الأوبئة). وهو ما

---

[1] www.islamspirit.com الموقع الإلكتروني معجم لسان العرب لابن منظور لمعجم اللغة العربية

[2] صحيح مسلم شرح النووي ط 2017م دار الكتب العلمية بيروت تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي 14 \204

[3] فتح الباري لإبن حجر تحقيق إبن باز الطبعة الأولى 1424هـ دار الحديث القاهرة ج 10 ص 180

[4] مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، نشر: مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة: الأولى، 1421هـ

[5] صحيح البخاري الطبعة 1434هـ مكتبة الإمام مسلم القاهرة وبترقيم محمد فؤاد عبدالباقي 4/ 29

[6] نفس الصدر 4/ 213

ذكره الخليل بن أحمد فقال: الوباء: الطّاعون، وهو أيضاً كلّ مَرَض عامّ، تقول: أصاب أهل الكورة العام وباء شديد.. وأرضٌ وَبِئة، إذا كثر مَرْضُها، وقد استوبأتها وقد وَبُؤَت تَوْبُؤُ وَباءةً، إذا كَثُرت أمراضها.[1] زاد المعاد 4\38 , وجاءعن معاذ بن جبل في طاعون عمواس: «أنها رحمة ربكم دعوة نبيكم».رواه أحمد في المسند [2].

واما التعريف الطبي للطاعون[3] حسب منظمة الصحة العالمية 2017 مع تصرف بسيط فهو:

الطاعون مرض من الأمراض البيكتيرية المعدية الموجودة لدى بعض صغار الثدييات والبراغيث المعتمدة لها. ـــوسببها البيكتيريا يرسينيا بيستيسي (Yersinia pestis) نسبة للعالم الذي اكتشفها ــ وقد يُصاب الناس بالطاعون إذا ما تعرضوا لدغ البراغيث الحاملة للعدوى، ويظهر عليهم الشكل الدبلي للطاعون. وقد يتطور الطاعون الدبلي في بعض الأحيان ليتحول الى طاعون رئوي، وذلك عندما تصل البكتيريا إلى الرئتين ومن ثم الى الدم فكل الجسم. وانتقال الطاعون من شخص إلى آخر أمرٌ ممكنٌ من خلال استنشاق رذاذ الجهاز التنفسي المصاب بالعدوى من شخص مصاب بالطاعون الرئوي.

عدوى الطاعون لها شكلان رئيسيان، يعتمدان على مسار العدوى: الشكل الدبلي والشكل الرئوي. وجميع الأشكال قابلة للعلاج والشفاء إذا ما اكتُشِفت في وقت مبكر بما فيه الكفاية.

- **الطاعون الدبلي**هو أكثر أشكال الطاعون شيوعاً على الصعيد العالمي، وهو ينجم عن لدغة برغوث حامل للعدوى. وتخترق عصوية الطاعون، أي اليرسنية الطاعونية، الجسم في موضع اللدغة وتعبر الجهاز الليمفاوي لتصل إلى أقرب عقدة ليمفاوية وتتكاثر فيها. ثم تلتهب العقدة الليمفاوية وتتورم وتصبح مؤلمة ويُطلق عليها اسم "الدبل". وفي مراحل العدوى المتقدمة، يمكن أن تتحول العقد الليمفاوية الملتهبة إلى قرحات مفتوحة مليئة بالقيح. ويُعتبر انتقال الطاعون الدبلي

---

[1] زاد المعاد لابن القيم تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط طبعة مؤسسة الرسالة 1418ه بيروت 4\38

[2] مسند أحمد تحقيق الأرنووط ط الرسالة بيروت 1424 ه 5\ 240

[3] الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية https://www.who.int/ar

بين البشر أمراً نادر الحدوث. ومن الممكن أن يتطور الطاعون الدبلي وينتشر إلى الرئتين، فيما يُعرف باسم الطاعون الرئوي والذي يُعتبر من أنواع الطاعون الأكثر وخامة.

- **الطاعون الرئوي** أو طاعون ذات الرئة – هو أشد أشكال الطاعون فتكاً. وقد لا تزيد فترة حضانته على 24 ساعة. وأي شخص مصاب بالطاعون الرئوي قد ينقل المرض عن طريق الرذاذ إلى البشر الآخرين. والطاعون الرئوي غير المعالج يكون مميتاً، ما لم يتم تشخيصه وعلاجه في وقت مبكر. ومع ذلك، فإن معدلات التعافي تكون مرتفعة إذا تم اكتشاف المرض وعلاجه في الوقت المناسب (في غضون 24 ساعة من ظهور الأعراض).

تعريف الوباء لغة: الوَبَاءُ : الوَبَأُ ؛وجمعها الأوبئة وهي كُلُّ مرضٍ شديد العدوى، سريع الانتشار من مكان إلى مكان، يصيب الإنسان والحيوان والنَّبات، وعادةً ما يكون قاتلاً كالطّاعون مثل وباء الكوليرا .[1]

وطبياالوباء:انتشار مفاجئ وسريع لمرض في رقعة جغرافية ما فوق معدلاته المعتادة في المنطقة المعنية.[2] من الأمثلة على الأوبئة وباء الموت الأسود خلال العصور الوسطى. وفي العصر الحديث انتشار مرض سارس وإنفلونزا الطيور وفيروس كورونا الحالي المخيف القاتل والمسبب لداء الكوفيد 19 والذي حملني على هذا البحث الشرعي الطبي اسأل الله العظيم بحوله وقوته إتمامه ان شاء إنه على كل شيء قدير.

---

[1] لمعجم اللغة العربية المعاصرة , الموقع الإلكتروني للمعاجم www.islamspirit.com

[2] https://www.who.int/ar الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية

الفصل الثاني:

1-هل الطاعون والوباء شيء واحد ام يختلفان؟ ومتى يشتركان في المعنى؟

الطاعون حسب الطب الحديث سببه بكتيريا تسمى "يرسينيا بيستيس" (Yersinia pestisi) وتتكاثر في جوف البراغيث والحشرات الصغيرة كالقمل والبقّ، وتنتقل إلى الحيوانات كالقطط والفئران والكلاب والمواشي، ثم تنتقل منها إلى الإنسان. وطريقة حدوث مرض الطاعون هي أن البكتيريا الطاعونية تتكاثر في جوف البراغيث مثلا، ثم تتسرب إلى مريئها فتسدّه فيورث ذلك لديها نهمة للدماء، فتطلبها من الحيوانات أو الناس فعندما تمتص منها تقيء فيها الدم الملوّث، فينتشر في الجسم ويحصل الطاعون الذي يتفشى بين الناس بالعدوى.ومن حيث الفرق في الاستخدام الدلالي بين الطاعون والوباء؛ فقد ذهب القدماء من العلماء إلى أن الوباء هو كل مرض منتشر بما في ذلك الطاعون، لكن الأخير يتميّز بأعراضه الخاصّة. قال أبو الوليد الباجي (ت 474هـ) فيما نقله عنه ابن حجر (ت 852هـ) في كتابه 'بذل الماعون في فضل الطاعون': "الطاعون مرض يعم الكثير من الناس -في جهة من الجهات- بخلاف المعتاد من أمراض الناس، ويكون مرضهم واحدًا بخلاف بقية الأوقات فتكون الأمراض مختلفة".[1]أما القاضي عياض (ت 544هـ) -في شرحه لـ'صحيح مسلم'- فقد قال مبينا الفرق بينهما عند الأقدمين: "أصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد، والوباء عموم الأمراض؛ فسُمّيت طاعونًا لشبهها بالهلاك بذلك، وإلا فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا"[2]، بينما يرجح محب الدين الطبري (ت 694هـ) -في 'الرياض النضرة'- أن "كل مرض عام -من خُرّاج أو غيره- يسمى طاعونا".[3]

ونحن نجد في كلامهم وصفا لثلاثة أنواع من الطاعون، مع عدم تحديدهم لطبيعتها:

---

[1] بذل الماعون في فضل الطاعون لإبن حجر ص 93

[2] إكمال المعلم بفوائد مسلم, شرح مسلم لقاضي عياض تحقيق يحي إسماعيل ط1 دار الوفاء مصر1419هـ 7\130

[3] الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبعة الأولى 1405هـ دار الكتب العلمية بيروت 4\357

1- الطاعون اللمفاوي (الدمّلي): وهو تورم العُقد اللمفاوية التي تمنح الجسم القدرة على مقاومة العدوى والتعافي منها إن حصلت. وهو المراد بقول ابن سينا (ت 428هـ) -في 'القانون في الطب'- عند وصفه الطاعون: "مادة سُمِّية تُحدث ورمًا قتّالًا، يحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن، وأغلب ما يكون تحت الإبط".[1]

2- الطاعون الرئوي: يبدأ بالتهاب شُعَبي يتبعه فورًا استسقاء الرئتين (امتلاؤهما بالسائل)، ثم تحدث الوفاة خلال ثلاثة أيام أو أربعة. [2]

3- طاعون تعفن الدم: وتغزو فيه البكتيريا تيار الدم فتحدث الوفاة قبل أن تبدو مظاهر الطاعون اللمفاوي أو الرئوي. ويشير إليه ابن سينا بقوله: "وسببه دم رديء مائل إلى العفونة والفساد، يستحيل إلى جوهر سُمّي يُفسد العضو ويغيّر ما يليه، ويؤدي إلى القلب بكيفيّة رديئة، فيحدث القيء والغثيان والغشي والخفقان".[3]

وفي التعريفات الطبية المعاصرة؛ جاء في 'الموسوعة البريطانية' أن "الطاعون مصطلح كان يطلق قديما على أي مرض واسع الانتشار مسبب للموت الجماعي، لكنه الآن محصور في حُمّى معدية من نوع خاص تسببه البكتيريا العصوية التي ينقلها برغوث الفئران"[4]. وأما الوباء فتعرّفه منظمة الصحة العالمية بأنه: "الجائحة التي تنتشر في جميع أنحاء العالم، أو على مساحة واسعة للغاية عابرةً للحدود الدولية، وعادة ما يؤثر على عدد كبير من الناس".[5]

---

[1] القانون في الطب لإبن سينا الطبعة الأولى 1420 هـ دار الكتب العلمية بيروت تحقيق الضناوي[1] 4\17

[2] https://www.who.int/ar الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية

[3] القانون في الطب لإبن سينا الطبعة الأولى 1420 هـ دار الكتب العلمية بيروت تحقيق الضناوي[3] 4\170

[4] Encyclopidia Britinica الموسوعة البريطانية ص 20و 21

[5] https://www.who.int/ar الموقع الإلكتروني لمنظمة الصحة العالمية

ونستنتج مما اعلاه ان بين الطاعون والوباء اشتراك وإختلاف فكل طاعون ممكن ان يتحول الى وباء عام وليس كل وباء طاعون فهما يشتركان في الإنتشار والدمار ويختلفان في النوع والسبب لان الطاعون مرض بكتيري يرسينسي ينتقل بواسطة البراغيث الى الجرذان ثم إلى البشر وقد يتحول الى وباء اذا انتشر بشكل واسع وخطير ,والوباء يكون من مرض معدي اي كان سببه غير سبب الطاعون السابق ذكره ,والتعريف المذكور أعلاه قالت به الموسوعة البريطانية قديما ومنظمة الصحة العالمية ووثقنها من مصادرها , والله اعلم .

2-الحجر الصحي

الحجر :لغة التضييق والمنع ومنه سمي الحرام والعقل حجرا, أي ومنه سمي الحرام حجراً، لأنه ممنوع منه.[1]كقوله تعالى﴿ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً ﴾[2]أي حراما محرما، ومنه سمي العقل حجرا، كقوله: ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾ [3][الفجر: 5] أي ذي عقل، لأنه يمنع صاحبه من تعاطي ما يقبح، وتضر عاقبته.

واما طبيا ظهرت كلمة الحجر الصحي كما نعرفها اليوم في إيطاليا لأول مرة، فالكلمة الإنجليزية quarantine والتي تعني "حجراً صحياً" مشتقة بالأصل من كلمة Quarantine الإيطالية اللاتينية والتي تعني "40 يوماً".[4]

وقد كانت Quarantine 40 يوماً في الإيطالية تستخدم للتعبير عن الحجر الصحي لأن الأطباء كانوا يفرضون حجراً لمدة 40 يوماً على المرضى، وقد اختاروا هذه المدة تحديداً لرمزيتها الدينية لدى مسيحيي القرون الوسطى.

---

[1] www.islamspirit.com الموقع الإلكتروني لمعاجم اللغة العربية,مختار الصحاح مع الرابط

[2] سورة الفرقان آية 22

[3] سورة الفجر الآية 5

[4] من الموقع الإلكتروني لجمعية الأمريكية للأمرض المعدية مع الرابط الأسفل
الرابط www.idsociety.com

فوفقاً لمعتقداتهم أمطرت السماء لمدة 40 يوماً عندما غمر الله الأرض بالماء، وصام عيسى عليه السلام في البرية لمدة 40 يوماً وفق مايدعون والله أعلم .لذا انتقل مفهوم الأربعين يوماً من التطهير إلى الممارسات الصحية، فعلى سبيل المثال تبقى الأم حديثة الولادة في فترة نقاهة 40 يوماً بعد وضع مولودها، ويحجر المصابون بأمراض معدية أو المشتبهون عن الأصحاء لمدة 40 يوماً أيضاً.[1]

و الحجر الصحي هو عزل المشتبهين بمرض معدي عن الأصحاء حتى لا ينقلوا العدوى للاخرين او يتم علاجهم بعد ظهور أعراض المرض عليهم وبذلك يسلم المجتمع.[2]

وهناك العزل الطبي وهو فصل المريض بداء معدي عن الأصحاء حتى لا يعديهم كما في السل وما يشبهه من الأمراض المعدية. [3]

وعندنا في السنة النبوية قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يوردن ممرض على مصح)[4] رواه البخاري 5771 وحديث ابو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر و فر من الجذوم كما تفر من الأسد)[5] 5707 البخاري , كما ترى سبق الاسلام في الحجر الصحي والعزل والاحتراز والبعد والإبتعادمن الإنسان المعدي وأما ما اشكل في الحديثين السابقين من أمر العدوى فسوف سنوضحه بحول الله وقوته في خلال بحثنا باذن الله تعالى.

3-الجائحة: وجمعها جوائح وهي بلية او تهلكة هي آفة سماويةتهلك الحرث[6], و يصطلح عليها طبيا باللغة الإنجليزية (Pandemic)، هي وباء ينتشر بين البشر في مساحة كبيرة مثل قارة أو قد تتسع لتضم كافة أرجاء العالم.ويسمى الانتشار الواسع لمرض بين الحيوانات جارفة . أما الوباء المستوطن واسع

---

[1] www.idsociety.com جمعية الأمريكية للأمراض المعدية مع الرابط

[2] www.idsociety.com جمعية الأمريكية للأمراض المعدية

[3] www.idsociety.com جمعية الأمريكية للأمراض المعدية

[4] أخرجه البخاري برقم 5771 ومسلم برقم 2221

[5] أخرجه البخاري برقم 5707

[6] www.islamspirit.com من الموقع الإلكتروني لمعاجم اللغة العربية و القاموس المحيط

الانتشار المستقر من حيث معرفة عدد الأفراد الذين يمرضون بسببه لا يعتبر جائحة. وعليه يستبعد من جائحة الانفلونزا النزلات الموسمية المتكررة للبرد.[1]

ظهر عبر التاريخ العديد من الجوائح مثل الجدري والسُلّ. ويعتبر الطاعون الأسود أحد أكثر الجوائح تدميرًا, إذ قتل ما يزيد عن 20 مليون شخصًا في عام 1350م.ويشتهر من الجوائح الحديثة الكوليرا والأيدز والإنفلونزا الإسبانية وجائحة إنفلونزا الخنازير2009، وفيروس الإنفلونزا أ H1N1 و فيروس كورونا الذي يسبب الداء الحالي المسمى بالكوفيد19 (COVID-19) الذي قتل حتى الان مئات الالاف ولازل نسأل الله العلي القدير أن يرفعه عنا والمسلمين , أمين.

تعريف منظمة الصحة العالمية للجائحة و مراحلها المختلفة :

الجائحة هي وباء ينتشر على نطاق شديد الاتساع يتجاوز الحدود الدُوليَّة، مؤثرًا -كالمعتاد- على عدد كبير من الأفراد.قد تحدث الجوائح لتؤثر على البيئة والكائنات الزراعية من ماشية ومحاصيل زراعية والأسماك والأشجار وغير ذلك.وقد قسمت منظمة الصحة العالمية دورة حدوث الجوائح من خلال تصنيف من ستة مراحل، ليصف العملية التي من خلالها ينتقل فيروس الانفلونزا الجديد من كونه مرض أُصيب به أفراد قلة، إلى نقطة تحوله إلى جائحة. هذا يحدث مع فيروس يصاب به على الأغلب حيوانات، مع حالات قِلة لانتقال العدوى إلى الإنسان، يليها مرحلة انتقال المرض ما بين البشر من فرد إلى آخر مباشرة، ويتحول الأمر بالنهاية إلى جائحة بين البشر مع انتشاره عالميًا وضعف القدرة على السيطرة عليها، حتى نتمكن من إيقافها[2], كما حدث مع داء أو جائحة الكوفيد19 الحالية العالمية.و لا يُصنّف مرض ما على أنه جائحة بسبب انتشاره الواسع وقتله لكثير من الأفراد، وإنما لابد أن يكون مُعديًا ويمكن انتقاله من شخص لآخر. فمرض السرطان مثلا قد تسبب في وفاة الكثيرين حول العالم ولكنه ليس مُعديًا أو منقولاً بين الأفراد فلا يعتبر وباءأ ولا جائحة.[3]

---

[1] https://www.who.int/ar من **الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية**

[2] https://www.who.int/ar من **الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية**

[3] https://www.who.int/ar من **الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية**

الباب الثاني

الطاعون والوباء عبر التاريخ البشري

1-طاعون أثينا عام 430 قبل الميلاد والضحايا ربع سكان أثينا من مدينين وجنودها والسبب حمى التيفويد , المرجع كتاب المؤلف جورج كوهان الجامع للامراض المعدية والطواعين 2008 .[1]

2-الطاعون الأنطوني 165 ميلادي والطاعون القبرصي 250 ميلادي وقد حصد ارواح من 5 مليون بشر والسبب كان داء الجدري.[2]

المرجع كتاب المؤلف داينيويس ستاتاكوبولص 2004 (الأوبئة والمجاعة في عصر الرومان)

3-طاعون جستنيان 541 ميلادي

في التقرير الذي نشره موقع "بيزنس إنسايدر" الأميركي، قال الكاتب رايدر كيمبول إن تفشي الطاعون الدبلي وضع حدا لفترة حكم إمبراطور بيزنطة في القرن السادس جستنيان الأول. وقتل هذا الوباء الذي يعرف في الوقت الراهن باسم "طاعون جستنيانما" بين 30 إلى 50 مليون شخص، أي ربما ما يعادل نصف سكان العالم في ذلك الوقت. وبحسب المصادر التقليدية، ساهم تفشي هذا الوباء في توقف الأنشطة التجارية وإضعاف الإمبراطورية، مما سمح للحضارات الأخرى باستعادة الأراضي البيزنطية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وأجزاء من آسيا.[3]

---

[1] كتاب المؤلف جورج كوهان الجامع للامراض المعدية والطواعين 2008م ص 87

[2] كتاب المؤلف داينيويس ستاتاكوبولص 2004 م (الأوبئة والمجاعة في عصر الرومان)

[3] موقع "بيزنس إنسايدر" الأميركي الكاتب رايدر كيمبول

3-الموت الأسود (الطاعون الأسود) (1338- 1351م)

ذكر الكاتب جستس فريدريش في كتابه جوائح القرون الوسطى أنه بين عامي 1338 و1351، انتشر الطاعون الدبلي في جميع أنحاء أوروبا و آسيا ، مما أسفر عن مقتل نحو 90 - 100مليون شخص في العالم. ومن بين التداعيات الأخرى لهذا الوباء الذي عُرف في وقت لاحق باسم "الموت الأسود"، كان بداية التغيرات ألإجتماعية والصناعية والتي أدت الى تغيرات ديموغرافية وثقافية وأفكارتحرورية ضد تسلط الكنيسة و الإقطاعيين وتولد أوروبا الجديدة ذات طابع لاديني عنصري ووطني وإستعماري غاشم فيمابعد. [1]

4-طاعون التبادل الكولومبي عام 1492 الجدري (القرنين 15 و17)

حصدت الجدري Smallpox أرواح البشر على مر التاريخ. يُعتقد أنه ظهر أول مرة في مصر قبل نحو 3 آلاف عام.

وتفشى الجدري في أماكن متفرقة في مختلف أرجاء العالم وفي حقب زمنية مختلفة، وحصد نحو 300 مليون إلى 500 مليون شخص.

أدخله الأوروبيون إلى الأمريكتين في القرن الخامس عشر وتسبب في مقتل غالبية السكان الأصليين بالمكسيك من الهنود الحمر. [2]

تذكر بعض المصادر التاريخية أن أول طريقة لعلاج الجدري اكتشفت في الصين قبل نحو ألف عام، وتذكر مصادر أخرى أن أتراك الأويغور في تركستان الشرقية هم أول من اكتشفها قبل ذلك بكثير وتوارث الأتراك هذه الطريقة إلى أن وصلت إلى الأناضول واستخدمها الأتراك السلاجقة والعثمانيون. وفي القرن الثامن عشر بالتحديد عام 1721 كتبت الليدي ماري مونتاغو زوجة السفير البريطاني لدى الدولة

---

[1] جوائح القرون الوسطى للكاتب جستس ص123

[2] كتاب التاريخ البيئي للكاتب ألفرد كروسي ص 75

العثمانية رسالة إلى بلادها تتحدث فيها عن طريقة يستخدمها العثمانيون لتحصين أنفسهم من الجدري. عبارة عن أخذ بعض المواد المعدية من جلد الشخص المصاب بالجدري ووضعها في خدوش سطحية بذراع الشخص المراد تحصينه. وقد اعتمدت هذه الطريقة في ما بعد في أوروبا بعد فترة من الرفض. ثم انتشرت هذه الطريقة في العالم كله.[1]

وفي عام 1796 استخدم الطبيب "إدوارد جينر" جدري البقر لتحصين الأشخاص ضد الجدري، مما ساعد في تشكيل مناعة داخل الجسم. ومهد الطريق أمام الأبحاث والدراسات لاكتشاف لقاح ضد الجدري مما أدى إلى انخفاض كبير بالتدريج في حالات الإصابة.[2]

وسجلت آخر حالة للجدري عام 1977 في الصومال وفي 1980 أعلنت منظمة الصحة العالمية انتهاء مرض الجدري من العالم وانتصار البشر عليه , والله اعلم.[3]

6-الكوليرا (1817 - 1961)

أشارت الأبحاث الطبية العالمية حسب منظمة الصحة العالمية ان الكوليرا تظهر بشكل موجات وبائية بين فترة واخرى ومن بقعة إلى بقعة وحتى الان ظهرت سبع مرات كوباء عالمي , و كمثال فوباء الكوليرا ظهر في "جيسور" بالهند، وانتشر في معظم أنحاء المنطقة ثم إلى المناطق المجاورة، وأودى بحياة الملايين قبل أن يتمكن طبيب بريطاني يدعى جون سنو من معرفة بعض المعلومات حول طرق الحد من انتشاره.ووصفت منظمة الصحة العالمية الكوليرا –التي تصيب سنويا ما بين 1.3 و4 ملايين شخص– بأنها "الوباء المنسي". وقالت المنظمة إن تفشي الوباء السابع للكوليرا الذي بدأ عام 1961، ولا يزال مستمرا حتى يومنا هذا.ونظرا لأن عدوى الكوليرا ناتجة عن تناول طعام أو ماء ملوثين بجراثيم معينة، فقد

---

[1] قصة الجدري بحث موقع شبكة الجزيرة www.aljazeera.net

[2] BMJ (مجلة بريطانية طبية) التطبيعمات, الرابط وhttps//doi.org/10.1136/bmj.331.7526.1209 publised 17 nov 2005

[3] https://www.who.int/ar **الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية**

تمكن هذا المرض من إلحاق الضرر بأغلبية ساحقة في البلدان التي تعاني من التوزيع غير العادل للثروة وتفتقر إلى التنمية الاجتماعية.[1]

وتستمر الكوليرا في تغيير العالم من خلال إلحاق الضرر بالمناطق الفقيرة، في حين أنها لا تؤثر بشكل كبير على الدول الغنيةو لذلك أهملت, وأهملت التدابير الوقاية والعلاجية ضدها بشكل مطلوب, و منظمة الصحة العالمية تتحمل جزاءا كبيرا من هذا الإهمال حسب رأيي الشخصي كطبيب.

7-الإنفلونزا الإسبانية والأسوية و أنفلونزا هونغ كونغ (1918 -1969) وكلها ظهرت وانتشرت في البقاع المنتسبة أولا ثم انتشرت إلى ماكن بعيدة وحصدت بمجموعها أرواح فوق 79 مليون بشر.[2]

8 - مرض الايدز 1981 إلى اليوم وهذا المرض الجنسي قتل30 مليون بشرا ولايزل يقتل الملايين في العالم.[3]

9- فيروس سارس 2002 . 2003

ظهر وباء الالتهاب الرئوي اللانمطي الحاد الوخيم (سارس)، المعروف علمياً أيضاً بالمتلازمة التنفسية الحادّة، في نوفمبر/تشرين الثاني 2002 في مدينة فوشان بمقاطعة غوانجدونغ جنوبي الصين. وأصاب 8 آلاف و96 شخصاً، وتسبب في وفاة أكثر من 774 شخصاً في العالم، حوالي 350 منهم في الصين، وأثار فيروس سارس موجة ذعر عالمية منذ ظهوره في نوفمبر/تشرين الثاني 2002 حتى اختفائه في يوليو/تموز 2003.[4]

---

[1] https://www.who.int/ar **الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية**

[2] https://www.who.int/ar **الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية**

[3] نفس المصدر

[4] https://www.who.int/ar **الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية**

وفي مارس/آذار 2003 أصدرت منظمة الصحة العالمية تحذيراً من السفر إلى مكان ظهور المرض ووصفته بـ"التهديد العالمي".

وفي 5 يوليو/تموز 2003 أعلنت منظمة الصحة العالمية أن فيروس سارس قد جرى احتواؤه [1],والحمدلله.

10-انفلونزا الخنازير 2009 -2010ا(H1N1)

في التقرير الذي نشره موقع "بيزنس إنسايدر" الأميركي، قال الكاتب رايدر كيمبول بأن نوعا جديد من فيروس الإنفلونزا ظهر عام 2009، حيث أصاب أكثر من 60 مليون شخص في الولايات المتحدة، وتراوح عدد الوفيات العالمية بين 151 و575 ألفا. ويطلق على هذا الفيروس اسم "إنفلونزا الخنازير" لأنه يبدو أنها انتقلت من الخنازير إلى البشر، وتختلف عن مرض الإنفلونزا العادية في أن 80% من الوفيات المرتبطة بالفيروس شملت أشخاصا تقل أعمارهم عن 65 عاما، على عكس وفيات الإنفلونزا العادية. [2]

11- جائحة أو وباء الكوفيد19 الحالية وما أدراك ما الكوفيد ؟! وسنذكرها بإيجاز في اخر الباب الثالث في الفصل السابع ان شاءالله تعالى , اللهم إنا نعوذبك من البرص والجنون والجذام وسيء الأسقام , اللههم إكفينا داء الكرونا بما شئت , أمين .

[1] https://www.who.int/ar **الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية**

[2] المصدر مذكور اعلاه

الباب الثالث : الطاعون في العصور الإسلامية المختلفة

الفصل الأول :طواعين عصرالصحابة رضوان الله عليهم

قد خلى عصر النبي صلى الله عليه وسلم من الطواعين و الأوبئة مع أن البعض ذكر ما سمي بطاعون شيرويه في فارس نسبة إلى ملكهم الذي مات به أنه كان في بداية الهجرة النبوية ربما سنة ست هجرية وكان سببا في إضعاف الفرس وهزيمتهم في ما بعد أمام المسلمين كما يقول بعض المؤرخة ومنهم البلاذري[1], وأنا اشك في ذلك لأن الفرس هزمهم المسلمون في أوج قوتهم وجبروتهم كما في قصة ربيعي بن عامر رضي الله عنه مع رستم قائد الفرس المتجبر في السير والمغازي ,والله أعلم , وانما ظهرت الطواعين في عهد الصحابة وخاصة في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وقد بلى فيه بلاءا حسنا , ثم وقعت و فشت الطواعين والأوبئة بعد عصر الصحابة رضوان الله عليهم فُشُوًّا ظاهرًا، لا سيما في عهد الدولة الأمويّة . ويدلنا على هذا الانتشار الواسع للأوبئة والطواعين عددُ من الكتب المؤلفة في هذا الباب. وقد رأيت كثيرًا من الباحثين يبدؤون ذكرَ مَن ألّف في هذا المجال بابن أبي الدنيا (ت 281هـ) وكتابه ‘الطواعين‘،ولكن يبدو أن الكندي قد سبقه بكتب مثل الأبخرة المصلحة للجو من الوباء، للكندي(ت 260هـ)، مفقود وغيره ، ولكن نقل عنه كثيرًا التميمي, وقد أحصي ما يزيد على 70 مؤلفًا في تاريخنا الإسلامي تتعلق كلها بالأوبئة والطواعين وحسب دراسة حديثة تصل إلى 163 مؤلفا.[2]

لم يسجل لنا أصحاب السيرة النبوية من الطواعين التي وقعت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إلا طاعونا وقع في فارس سنة 6 هـ، وسُمّي باسم ملكها شيرويه (ت 628م) كما اسلفت.

ثم وقع "طاعون عمواس" سنة 18هـ أو 683 م "في عصر الصحابة فتفانى الناس"؛ حسب تعبير الطبري في تاريخه[3], وقع في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبلى فيه بلاءا حسنا وسيأتي التفصيل لاحقا

---

[1] فتوح البلدان للبلاذري ط دار الكتب العلمية بيروت 2000م تحقيق عبدالقادر محمد علي 2\322

[2] الموقع الإلكتروني مركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب بحث بعنوان كتيبة الطاعون.. الجهود العلمية الإسلامية في مكافحة الأوبئة والطواعين – د. محمد علي عطا 2020م والرابط www,vefaqdev.net

[3] تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الثانية دار المعارف بمصر 1387هـ تحقيق محمد أبو الفضل 3\161

و في شرح أحاديث الطاعون ان شاء الله تعالى, وكان طاعونًا فتاكًا هلك فيه 25 ألفًا؛ كما يذكر الطبري عن الواقدي (ت 207هـ) في تاريخه وقد مات فيه من كبار قادة الصحابة: أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ومعاذ بن جبل وابنه عبدالحمان و الفضل بن العباس رديف الرسول صلى الله عليه والسلام في حجة الوداع وابن عمه العباس رضي الله عنهم جميعا و بلال بن رباح و الحارث بن هشام وحذافة بن نصر وغيرهم مئات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم, كما قدر عدد الموتى بخمس وعشرين الفا الى ثلاثين ألفا[1], وطاعون عمواس نسبة الى قرية في فلسطين بين القدس والرَّملة؛ لأنَّها كانت أول ما نجم الدَّاء بها، ثمَّ انتشر في الشَّام منها، فنسب إليها، ففي سنة 18هـ أراد عمر رضي الله عنه أن يزور الشَّام للمرَّة الثَّانية، فخرج إليها، ومعه المهاجرون، والأنصار حتّى نزل بِسَرْغٍ على حدود الحجاز والشَّام، فلقيه أمراء الأجناد، فأخبروه: أنَّ الأرض سقيمةٌ، وكان الطَّاعون بالشَّام، فشاور عمر رضي الله عنه واستقرَّ رأيه على الرُّجوع. وبعد انصراف عمر رضي الله عنه حصل الطَّاعون الجارف المعروف بطاعون عِمَواس وكانت شدَّته بالشَّام، فهلك به خلقٌ كثيرٌ، منهم: أبو عبيدة بن الجرّاح، وهو أمير النَّاس، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وقيل: استشهد باليرموك، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل، وأشراف النَّاس، ولم يرتفع عنهم الوباء إلا بعد أن وليهم عمرو بن العاص، فخطب النَّاس، وقال لهم: أيُّها الناس! إنَّ هذا الوجع إذا وقع إنما يشتعل اشتعال النَّار، فتجنَّبوا منه في الجبال، فخرج، وخرج النّاس، فتفرقوا حتّى رفعه الله عنهم، فبلغ عمر ما فعله عمرو، فما كرهه.

تأثَّر الفاروق وحزن حزناً عظيماً لموت قادته العظام، وجنوده البواسل بسبب الطَّاعون في الشَّام، وجاءته رسائل الأمراء من الشَّام تتساءل عن الميراث الَّذي تركه الأموات خلفهم، وعن أمورٍ عديدةٍ، فجمع النَّاس، واستشارهم فيما جدَّ من أمورٍ، وعزم على أن يطوف على المسلمين في بلدانهم، لينظِّم لهم أمورهم، واستقرَّ رأي عمر بعد تبادل وجهات النَّظر مع مجلس الشُّورى أن يبدأ بالشَّام، فقد قال: إنَّ مواريث أهل الشَّام قد ضاعت، فأبدأ بالشام فأقسم المواريث، وأقيم لهم ما في نفسي، ثمَّ أرج فأتقلَّب في

---

[1] تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الثانية دار المعارف بمصر 1387هـ تحقيق محمد أبو الفضل 3 \162

البلاد، وأبدي لهم أمري، فسار عن المدينة واستخلف عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه فلمَّا قدم الشَّام، قسم الأرزاق، وسمَّى الشَّواتي، والصَّوائف، وسدَّ فروج الشَّام، ومسالحها، وولَّى الولاة، فعين عبد الله بن قيس على السَّواحل من كلِّ كورة، واستعمل معاوية على دمشق، ورتَّب أمور الجند، والقادة والنَّاس، وورَّث الأحياء من الأموات.[1]

ولما حضرت الصَّلاة قال له الناس: لو أمرت بلالاً فأذَّن فأمره، فأذَّن فما بقي أحدٌ أدرك النَّبيَّ (صلى الله عليه وسلم) وبلالٌ يؤذِّن إلا وبكى، حتَّى بلَّ لحيته، وعمر أشدُّهم بكاءً، وبكى من لم يدركه ببكائهم، وذلك لذكرهم رسول الله وصلاتهم معه في مسجده صلى الله عليه وسلم ، وقبل أن يرجع إلى المدينة خطب في النَّاس: ألا وإنِّي قد وَلَّيْتُ عليكم، وقضيت الَّذي عليَّ في الَّذي ولاني الله من أمركم إن شاء الله، فبسطنا بينكم فيئكم ومنازلكم، ومغازيكم، وأبلغناكم ما لدينا، فجنَّدنا لكم الجنود، وهيَّأنا لكم الفروج، وبوَّأنا لكم، ووسَّعنا عليكم ما بلغ فيئكم، وما قلتم عليه من شامكم، وسمَّينا لكم أطعماتكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم، ومغانمكم، فمن علم شيئاً ينبغي العمل به، فليعلمنا؛ نعمل به إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله. وكانت هذه الخطبة قبل الصَّلاة المذكورة.[2]

لقد كان طاعون عمواس عظيم الخطر على المسلمين وأفنى منهم أكثر من ثلاثين ألفاً، وهو عددٌ يوازي نصفهم بالشَّام وربما تخوَّف من ذلك المسلمون يومئذٍ، واستشعروا الخطر من قبل الرُّوم، وفي الحقيقة لو تنبَّه الرُّوم لهذا النَّقص الَّذي أصاب جيش المسلمين بالشَّام يومئذٍ، وهاجموا البلاد؛ لصعب على الجيوش المرابطة دفعهم، ولكن ربما كان اليأس تمكَّن من نفوس الرُّوم، فأقعدهم عن مهاجمة المسلمين خصوصاً إذا كان أهل البلاد راضين بسلطة المسلمين مرتاحي القلوب إلى سلطانهم العادل، وسيرتهم الطَّيبة الحسنة، وبدون الاستعانة بهم لا يتيسَّر للرُّوم مهاجمة الشَّام لا سيَّما إذا أضفنا إلى هذا مَلَلَ القوم من الحرب،

---

[1] فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب لعلي الصلابي الطبعة الأولى 1423هـ مكتبة التابعين القاهرة ص 285

[2] نفس المصدر

وإخلادهم إلى الرَّاحة من عناء المقاومة لقوم أصبح النَّصر حليفهم في كلِّ مكانٍ، ودبَّ الرُّعب من سطوتهم في قلب كلِّ إنسان.

حكم الدُّخول، والخروج من الأرض الَّتي نزل بها الطَّاعون و هل هو الفرار المنهي عنه؟

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إذا سمعتم به بأرضٍ؛ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ، وأنتم بها؛ فلا تخرجوا فراراً منه»[1]، وقد اختلف الصَّحابة في مفهوم النَّهي عن الخروج، والدُّخول، فمنهم من عمل به على ظاهره، ومنهم من تأوَّله، والَّذين تأوَّلوا النَّهي أباحوا خروج من وقع في أرضه الطَّاعون، وقد مرَّ علينا حرص الفاروق على إخراج أبي عبيدة من الأرض الَّتي وقع فيها الطَّاعون إلا أنَّ أبا عبيدة اعتذر . رضي الله عنه كما أنَّ الفاروق طلب من أبي عبيدة أن يرتحل بالمسلمين من الأرض الغمقة الَّتي تكثر فيها المياه، والمستنقعات إلى أرضٍ نزهةٍ عالية، ففعل أبو عبيدة، وكانت كتابة عمر إلى أبي عبيدة بعد أن التقيا في سَرْغٍ، وسمعا حديث عبد الرَّحمن بن عوف بالنَّهي عن الخروج، والقدوم إلى أرض الوباء، ورجع عمر إلى المدينة، ويظهر: أنَّ الوباء كان في بدايته، ولم يكن قد استشرى، واشتعل لهيبه، فلمَّا رجع عمر إلى المدينة؛ وصلته أخبارٌ بكثرة الموت في هذا الطَّاعون.

ومفهوم عمر رضي الله عنه بجواز الخروج من أرض الطَّاعون نُقل أيضاً عن بعض الصَّحابة؛ الَّذين عاصروا أبا عبيدة في الشَّام، وعاشوا محنة المرض، كعمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنهم . والخلاف جارٍ في مسألة الخروج من أرض الطَّاعون، لا في الدُّخول إلى أرض الطَّاعون. فبعضهم أباح الخروج على ألا يكون الخروج فراراً من قدر الله، والاعتقاد بأنَّ فراره هو الَّذي سلَّمه من الموت، أمَّا مَنْ خرج لحاجةٍ متمحِّضَةٍ، فهو جائزٌ، ومن خرج للتَّداوي فهو جائزٌ، فإنَّ تَرْكَ الأرض الوبئة، والرَّحيل إلى الأرض النَّزهة مندوبٌ إليه، ومطلوبٌ.[2]

---

[1] أخرجه البخاري 5729 و مسلم 2219 فهو متفق عليه

[2] فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب لعلي الصلابي الطبعة الأولى 1423هـ مكتبة التابعين القاهرة ص 285

وأمَّا تعليل أبي عبيدة رضي الله عنه بقاءه واعتذاره للفاروق عن الخروج، فراجعٌ إلى أسبابٍ صحِّيَّةٍ، واجتماعيَّةٍ، وسياسيَّةٍ، وقياديَّةٍ ينظمها الدِّين في نظامه، وتعدُّ مثلاً أعلى للقيادة الأمينة، وأبو عبيدة أمين هذه الأمَّة، حيث قال معلِّلاً سبب ثباته: إِنِّي في جند المسلمين، ولا أجد بنفسي رغبة عنهم. وقد أصاب بعض العلماء المفصل عندما ذكر في حكمة النَّهي عن الخروج فراراً من الطاعون: أنَّ النَّاس لو تواردوا على الخروج، لصار مَنْ عجز عنه بالمرض المذكور أو غيره. ضائع المصلحة، لفقد من يتعهَّده حيّاً وميتاً، ولو أنَّه شُرع الخروج، فخرج الأقوياء؛ لكان في ذلك كسر قلوب الضُّعفاء. وقد قالوا: إنَّ حكمة الوعيد من الفرار من الزَّحف؛ لما فيه من كسر قلب مَنْ لم يفرَّ، وإدخال الرُّعب فيه بخذلانه.اذا أنَّ البقاء في أرض الطاعون رخصةٌ، والخروج رخصةٌ [1] وهذا هورأي بعض الصحابة والعلماء وفيه نظر ، فمن كان في الوباء، وأصيب، فلا فائدة من خروجه، وهو بخروجه ينقل المرض إلى النَّاس الأصحَّاء، ومن لم يُصَبْ فإِنَّه يرخَّص له في الخروج من باب التَّداوي على ألا يخرج النَّاس جميعاً، فلا بدَّ أن يبقى من يعتني بالمرضى. أودى هذا المرض الخبيث بحياة الكثير من الناس، وجلهم من كبار الفاتحين المسلمين، وقد كان تعامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع هذا البلاء في منتهى الحذر حيث لم يدخل هو ومن معه إلى الشام، كما حاول إخراج المعافين من أرض الوباء، كما قام بتحمل المسؤولية كاملة بعد انجلاء هذا الوباء فرحل إلى الشام وأشرف على حل المشكلات وتصريف تبعات هذه الأزمة، كما كان مرجعه ودليله في كل ما فعله هو الشريعة الإسلامية وفقهها فاجتهد ونفذ، وأمر ووجه الولاة وفق ذلك، فأصبح بذلك مثالاً لكل الأمراء والحكام من بعده في كيفية مواجهة الأزمات وإدارتها.[2]

وقد أوضح لنا الصحابي الجليل عوف بن مالك رضي الله عنه عن خبر النبوءة في طاعون عمواس ، والوقت الذي قيلت فيه، والظروف التي صاحبتها، يقول عوف رضي الله عنه: أتيت النبى – صلى الله عليه وسلم – في غزوة تبوك وهو في قُبّة من أَدَم، فقال: (اعدد ستاً بين يدي الساعة، موتي، ثم فتح بيت

---

[1] فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب لعلي الصلابي الطبعة الأولى 1423هـ مكتبة التابعين القاهرة ص 286

[2] فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب لعلي الصلابي الطبعة الأولى 1423هـ مكتبة التابعين القاهرة ص 287

المقدس، ثم مُوتَان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا) [1]رواه البخاري، والأَدَم: هو الجلد، والغاية: الراية.

هنا نرى النبي –صلى الله عليه وسلم– قد أخبر بست علاماتٍ تحدث من بعده وكلّها من أشراط الساعة، أما وفاته عليه الصلاة والسلام فكان في السنة الحادية عشرة من الهجرة، وأما فتح بيت المقدس فكان على يدي الخليفة الرّاشد عمر بن الخطّاب– رضي الله عنه– سنة خمس عشرة للهجرة، وبعدها "الموتان" الذي أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– بحلوله وحدوثه.

والموتان: بضم الميم وسكون الواو، وقيل: موتان بفتح الميم والواو، وفيها لغة أخرى: فتح الميم وإسكان الواو، وهي بمعنى انتشار الموت في الناس كانتشار النار في الهشيم، وقد شبّهه النبي –صلى الله عليه وسلم– بعقاص الغنم، وهو داءٌ يصيب الغنم، فيسيل من أنوفها شيء، ثم لا تلبث أن تموت.[2]

يقول ابن حجر : "أراد بالموتان الوباء، وهو في الأصل موت يقع في الماشية، والميم منه مضمومة، واستعماله في الإنسان تنبيهٌ على وقوعه فيهم وقوعه في الماشية، فإنها تسلب سلباً سريعاً". [3]

وحتى نفهم أكثر طبيعة هذا المرض الرهيب، يحسن بنا العودة إلى المراجع الطبيّة التي بيّنت حقيقة هذا المرض، فقد وصفوا الطاعون بأنه عدوى تهدد حياة الإنسان، ومنشأ هذه العدوى بكتريا تُعرف باسم "يرسِينيا بيستيس" Yersinia pestisi، وتتواجد هذه البكتيريا في أجساد بعض القوارض كالفئران والجرذان، ثم يأتي دور البراغيث التي تصاب بها ثم تقوم بدورها في نقل عدوى الطاعون إلى الناس.

---

[1] رواه البخاري برقم 3176

[2] الموقع الإلكتروني لمعاجم اللغة العربية مع الرابط www.islamsprit.com القاموس المحيط

[3] فتح الباري لإبن حجر 6\278

هذا ما تقوله علوم الطبيعة عن مرض الطاعون، ولنا نحن المسلمين إضافةٌ وتعقيب نستمدّه من السنّة، ومن خلاله نؤمن بأّنه مرضٌ جعله الله سبحانه وتعالى بلاءً للمؤمنين والكافرين على حدٍّ سواء، على أنه للمؤمنين رحمة في كل الأحوال ، ولمن سواهم عذابٌ ونقمة، عن عائشة أنها سألت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن الطاعون، فقال عليه الصلاة والسلام : (إنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء ، فجعله الله رحمة للمؤمنين)[1] رواه البخاري.

والذي يموت بسبب هذا المرض يعتبر من جملة الشهداء، فقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في الحديث السابق: (ليس من عبدٍ يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له ، إلا كان له مثل أجر الشهيد)[2] رواه البخاري. وهذا الأجر للصابر الذي لم يصب ولم يمت فمابلك بمن يموت به؟ سبحان الله العظيم.

وعن حفصة بنت سيرين أن أنس بن مالك رضي الله عنه سألها : بم مات يحيى بن أبي عمرة ؟ فقالت : بالطاعون ، فقال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : (الطاعون شهادة لكل مسلم) [3]أخرجه البخاري .

وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (يأتي الشهداء والمتوفّون بالطاعون، فيقول أصحاب الطاعون: نحن شهداء، فيُقال: انظروا، فإن كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيل دماً ريح المسك، فهم شهداء. فيجدونهم كذلك)[4] رواه أحمد والطبراني.

وقد وقع الطاعون كما أسلفنا الذي أ خبر به النبي –صلى الله عليه وسلم– زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سنة ثمان عشرة للهجرة ، وهو أول طاعون وقع في الإسلام,وتكلّم المؤرّخون كثيراً كيف استقبل المسلمون هذه الظاهرة الجديدة عليهم بشيء من الارتباك واختلاف المواقف؛ إذ لا سابقة لهم في

---

[1] رواه البخاري برقم 5734

[2] رواه البخاري5734

[3] المصدر السابق5732

[4] أخرجه أحمد في مسنده برقم 17651

التعامل مع أمثال هذه الأوبئة العامة، فمنهم من دعا إلى الفرار والهروب إلى الدول المجاورة، ومنهم من نظر إلى هذه الدعوة بأنها فرارٌ من قدرٍ محتوم، وأجلٍ مقسوم، ومما اشتهر في شأن طاعون عمواس الحوار الذي دار بين أبي عبيدة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما كما روى البخاري، إذ قال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم، نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيتَ الخصبة رعيتَها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتَها بقدر الله؟ قال: نعم.[1]

وقد آثر أبو عبيدة رضي الله عنه البقاء في الشام ، ورفض دعوة عمر رضي الله عنه بمفارقة مكان الوباء، حتى أصابه الطاعون، فقام في الناس خطيبا فقال: "أيها الناس، إن هذا الوجع رحمةٌ بكم، ودعوة نبيّكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظّه"، ثم مات وقد استخلف على الناس معاذ بن جبل رضي الله عنهم، فقام خطيباً وقال نحو ما قال أبو عبيدة رضي الله عنه،فأصيب ولده عبد الرحمن بالطاعون فمات، ثم أصيب معاذ بنفسه بالطاعون، وكان مبدأ المرض في يده، يقول أحد الرواة: "لقد رأيته ينظر إليها ثم يقلب ظهر كفه ثم يقول: ما أحب أن لي بما فيكِ، شيئاً من الدنيا" وذلك منه استحضاراً للأجور العظيمة المترتّبة عليه.[2]

وقد أصرّ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يترك المدينة ويتوجّه إلى الشام ليقف بنفسه على الكارثة التي أودت بحياة ثلاثين ألفاً –وقيل سبعين ألف– في ثلاثة أيام، رغبةً منه في الإشراف على شؤون المسلمين والنظر في كيفيّة التعامل مع الحدث.[3]

وواجه المسلمون تحدّياً جديدياً في مسألة قسمة المواريث وإشكالاتها المتعلّقة بموت الورثة وورثتهم على نحوٍ متعاقبٍ سريع، فصار من الصعوبةِ بمكان أن يُتعامل مع هذا الواقع الجديد وقسمة المواريث بالطرق

---

[1] اخرجه البخاري برقم 5729

[2] مسند الأمام أحمد ص 458

[3] فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب لعلي الصلابي الطبعة الأولى 1423هـ مكتبة التابعين القاهرة ص 286

الاعتياديّة السابقة.

وقد تولّى الخليفة عمر رضي الله عنه القسمة بنفسه، وطابت قلوب الناس بقدومه، وانقطعت أطماع الأعداء في استغلال هذه الفوضى باستباحة الأراضي والقضاء على الوجود الإسلامي.
وعاش المسلمون في ظلّ هذا الوباء أيّاماً عصيبة، حتى كانت نهايته على يد العبقري عمرو بن العاص رضي الله عنه، فحينما مات معاذ رضي الله عنه واستخلف عمرو بن العاص قام في الناس خطيباً فقال: "أيها الناس، إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتحصّنوا منه في الجبال[1]" وكأنّه يعني أن حال هذا الوباء كحال النار، فإذا لم تجد النار ما تحرقها خمدت، فكانت نصيحته للناس أن يتفرّقوا في النواحي شيئاً من الزمن، وبهذه النظرة السديدة ارتفع الوباء وانتهى ، ولله الحمد والمنّة.

ويُذكر في هذا السياق حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (.. فإذا كان بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها، وإذا سمعتم به في أرض، فلا تدخلوها) رواه البخاري [2]، وقد مرّ معنا حيرة الصحابة في دخول موطن الطاعون من عدمه، حتّى قال الطبّ كلمته في عصرنا الحالي، مبيّناً ومن خلال المنهج التجريبي أن المتواجد في الأرض الموبوءة قد يكون حاملاً للفيروس المسبّب للمرض دون أن تظهر عليه أعراضه لمناعته القوية ، فيكون خروجه من موطن الوباء سبباً في انتشاره في مواطن أخرى، وعلى ذلك يكون الحجر الصحّي هو أنجع الوسائل في السيطرة على الوباء ومنعه من الانتشار، وهو ما جاء الأمر به في الحديث النبويّ الشريف، ولذلك اعتبر كثيرٌ من العلماء أن هذا الحديث داخلٌ في جملة الأحاديث المتعلّقة بالإعجاز العلميّ، والتي تدلّ على أن نبينا —صلى الله عليه وسلم– لا ينطق عن الهوى، بل هو الوحي من ربّ السماء.

---

[1] تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الثانية دار المعارف بمصر 1387هـ تحقيق محمد أبو الفضل 4\62

[2] أخرجه البخاري 5396

وفي عام 24هـ؛ وقع طاعون في مصر لا نعرف عنه سوى أنه أخذ خمسة أبناء للشاعر أبي ذؤيب الهذلي (ت 27هـ) فأهدانا مرثيته البديعة لهم: "أمِنَ المنون وريْبها تتوجعُ؟!" [1]

أمِنَ المِنونِ وَريبِها تَتَوَجَّعُ وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ

قالَت أُمَيمَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِب مُنذُ اِبتَذَلتَ وَمِثلُ مالِكَ يَنفَعُ

أَم ما لِجَنبِكَ لا يُلائِمُ مَضجَع ِ لّا أَقَضَّ عَلَيكَ ذاكَ المِضجَعُ

فَأَجَبتُها أَن ما لِجِسمِيَ أَنَّهُ أَودى بَنِيَّ مِنَ البِلادِ فَوَدَّعوا

أَودى بَنِيَّ وَأَعقَبوني غُصّ بَعدَ الرُقادِ وَعَبرَةً لا تُقلِعُ

سَبَقوا هَوَيَّ وَأَعنَقوا لِهَواهُمُ فَتُخُرِّموا وَلِكُلِّ جَنبٍ مَصرَعُ

فَغَبَرتُ بَعدَهُمُ بِعَيشٍ ناصِبٍ وَإَخالُ أَنّي لاحِقٌ مُستَتبَعُ

---

1 الشعراء الهذليون, ديوان الهذليين تحقيق أحمد الزين دار الكتب المصرية ج1 ص 3

وَلَقَد حَرِصتُ بِأَن أُدافِعَ عَنهُمُ   فَإِذا المَنِيَّةُ أَقبَلَت لا تُدفَعُ

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها   أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ

. وزعم ابن القيم الجوزية في كتابه شفاء العليل ‘– أن مصدر ذلك الطاعون قرية تسمى "داب" وقع فيها الطاعون، وكان معاوية رضي الله تعالى عنه أمير الشام (ت 60هـ) فأراد إجلاء أهلها، ولكن أبا الدرداء رضي الله تعالى عنه (ت 32هـ) عارضه قائلا: "كيف لك يا معاوية بأنفُسٍ قد حضرت آجالُها؟"، فامتدّ الطاعون إلى حمص ودمشق، فخرج معاوية رضي الله تعالى عنه منها ووصل الوباء إلى مصر.[1]

ثم طاعون الكوفة في عام 49هـ= 669م ومات به المغيرة بن شعبة رضي الله عنه والي الكوفة ،و يقول ابن الأثير في تاريخه: ثم دخلت سنة خمسين فيها كانت غزوة بسر بن أرطأة وسفيان بن عوف الأزدي أرض الروم وغزوة فضالة بن عبيد الأنصاري في البحر.
و يذكر وفاة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وولاية زياد بن أبيه الكوفة في هذه السنة في شعبان حيث كانت وفاته رضي الله عنه في قول بعضهم وهو الصحيح , وكان الطاعون قد وقع بالكوفة فخرج المغيرة رضي الله عنه منه فلما ارتفع الطاعون عاد إلى الكوفة فطعن فمات.وكان طوالا أعور ذهبت عينه يوم اليرموك وتوفي وهو ابن سبعين سنة وقيل كان موته سنة إحدى وخمسين وقيل سنة تسع وأربعين.
فلما مات المغيرة رضي الله عنه استعمل معاوية رضي الله عنه زياد بن أبيه علي الكوفة.[2]

ووقع طاعون البصرة عام، 64هـ= 683م،وهو الذي استمر الى عام 131 ه ولكن على شكل فورات متقطعة وأسماء مختلفة والمسمى واحد حيت تتبعي لحوادث تلك السنين في كتب التاريخ المختلفة, ومات

---

[1] شفاء العليل لابن القيم الجوزية الصفحة 38 دار الكتب العلمية بيروت

[2] الكامل في التاريخ لإبن الأثير الطبعة الأولى1407هـ دار الكتب العلمية بيروت تحقيق عبدالله القاضي 3\317

به خلق كثير وانشغل الناس بدفن الموتى حتى أن والي البصرة عبيدالله بن معمر التيمي ماتت أمه فلم يجد من يقوم بحمل جنازتها فأستئجر لها اربعة علوج فحملوها إلى حفرتها كما روى ذلك الطبري في تاريخه.[1]

وهو امتداد لما سمي بطاعون عبدالله ابن الزبير في عام 69هـ= 688م، والطاعون العام سنة 80هـ= 699م، و كذلك طاعون الفتيات في عام 87هـ= 705م، وطاعون البصرة عام 119هـ= 737م، وطاعون مسلم بن قتيبة الذي ضرب العراق والشام في عام 131هـ= 748م، وغير ذلك مثل طاعون عدي بن أرطا سنة100هـ712 م وطاعون غراب سنة 127هـ 744م فكل هذه الأسماء لنفس الطاعون ولكنه ما ان يخمد حتى يظهر من جديد وفي بقعة أخرى من بلاد الشام والعراق ومصر حيث ينقله الناس بينهم.

ولكن البلاذري (ت 270هـ) يشير –في 'فتوح البلدان'– إلى طاعون عنيف سابق لطاعون عمواس حدث حوالي سنة 16 للهجرة في فارس، وكانت نتائجه في مصلحة المسلمين الذين تقدموا حينها في فارس ففتحوا معظم حواضرها[2], وفي كلامه هذا نظر كما أسلفنا. ونجد في 'تاريخ دمشق' لابن عساكر (ت 571هـ) ذكرًا لهذا الطاعون، حيث ينقل عن أيوب السختياني (ت 131هـ) قوله: "لم يكن طاعون أشد من ثلاثة طواعين: طاعون ازدجرد (= يزدجرد وهو ملك فارسي توفي 651م)، وطاعون عمواس، والطاعون الجارف"[3]؛و هذا الأخير ووفقا لدراسة بعنوان "وباء الطاعون فى الإسلام وإصابة المشهورين به حتى نهاية العصر الأموي" نشرت بمجلة كربلاء العالمية (المجلد الثامن- العدد الأول عام 2010)، سمى بذلك لكثرة من مات فيه من الناس، وسمى الموت جارفا لاجترافه الناس، ووقع هذا الطاعون في أيام عبدالله بن الزبير سنة 67هـ، وفى رواية أخرى سنة 69هـ، وكان شديدا إذ مات في ثلاث أيام كل يوم سبعون ألف، من بينهم ثمانون ابنا لأنس بن مالك، وكذلك مات لعبد الرحمن بن أبى بكرة أربعون

---

[1] تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الثانية دار المعارف بمصر 1387هـ تحقيق محمد أبو الفضل 4 \476

[2] فتوح البلدان للبلاذري ط دار الكتب العلمية بيروت 2000م تحقيق عبدالقادر محمد علي ص 311

[3] الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي , الصفحة 56

ولدا.ومن أشهر من مات بهذا الطاعون كان النحوي العربى الشهير أبو الأسود الدؤلى، الذى مات سنة 69 هـ، وقبيصة بن حريص الأنصاري، والذى مات سنة 67 هـ.[1]

وعن هذا الطاعون يقول ابن الأثير في كتابه الكامل : وفي هذه السنة وقع الطاعون الجارف بالبصرة فماتت أم ابن معمر الأمير، فما وجدوا من يحملها حتى استأجروا لها أربعة أنفس، وكان وقوع هذا الطاعون أربعة أيام، فمات في اليوم الأول سبعون ألفًا وفي اليوم الثاني واحد وسبعون ألفًا وفي اليوم الثالث ثلاثة وسبعون ألفًا وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى إلا قليلاً من الآحاد"[2].

ووصف الطبري الطاعون ومع ذلك يذكر أنه حج في هذه السنة عبد الله بن الزبير[3]، كما وقوع الطاعون بمصر ومجاعة كذلك فقد نقل الحافظ ابن كثير عن الواقدي "وفي هذه السنة وقع في مصر طاعون هلك فيه خلق كثير من أهلها".[4]

ثم ارتد الطاعون بعد ذلك إلى البصرة فجاءت الروايات أنه في سنة 68هـ "طاعون جارف بالبصرة امتد إلى سنة 80هـ" حيث يقول الطبري في تاريخه : أنه كان ثلاثة أيام فمات في كل يوم نحو من سبعين ألفًا، وقيل مات في طاعون الجارف عشرون ألف عروس وأصبح الناس في اليوم الرابع ولم يبق إلا اليسير من الناس"[5].كما أشار ياقوت الحموي أيضا في كتابه معجم البلدان أنه كان قد وقع طاعون بمصر عام 70هـ وكان واليها عبد العزيز بن مروان فخرج من مصر، فلما وصل حلوان استحسن موضعها، فبنى بها دارًا واستوطنها وزرع بها بساتين وغرس كرومًا ونخلاً.[6]

---

[1] مجلة كربلاء العالمية المجلد 8 ,2010 م

[2] الكامل في التاريخ لإبن الأثير الطبعة الأولى1407هـ دار الكتب العلمية بيروت تحقيق عبدالله القاضي 3\450

[3] تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الثانية دار المعارف بمصر 1387هـ تحقيق محمد أبو الفضل 5\612

[4] البداية و النهاية لإبن كثير طبعة دار المعارف وتحقيقه بيروت 1410 هـ 8\283

[5] تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الثانية دار المعارف بمصر 1387هـ تحقيق محمد أبو الفضل 5\612

[6] معجم البلدان لياقوت الحموي طبعة دار صادر بيروت 1397هـ 2\337

الفصل الثاني :طواعين العصر الأموي

يقول ابن حجر رحمه الله (ت 852هـ) –في كتابه فضل الطاعون– مصورًا تعاقب الطواعين فيها: "لم تنقطع الطواعين في خلافة بني أمية، ثم خفّ الطاعون في الدولة العباسية".[1]

وقبل ابن حجر بقرون؛ لاحظ أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ) –في 'ثمار القلوب'– أنه "لم تزل الشام كثيرة الطواعين حتى صارت تواريخ، وكانت تظهر بالشام ثم تمتد إلى العراق والجزيرة، ولما وَلِيَ بنو العباس الخلافة انقطع الطاعون إلى أيام المقتدر (ت 320هـ)". [2]

وقد أدّت الطواعين المتعاقبة إلى إنهاك الدولة الأموية فساهمت في سقوطها على أيدي المخالفين.

ينقل المؤرخ ابن تغري بردي (ت 874هـ) –في 'النجوم الزاهرة'– عن المؤرخ أبي الحسن المدائني (ت 225هـ) أنه أحصى 15 طاعونا حتى سنة 131هـ .[3].

ولكن الباحث المعاصر أحمد العدوي المصري تتبع –في كتابه 'الطاعون في العصر الأموي'– هذه الطواعين فوجدها 20 طاعونًا، بمعدل طاعون في كل أربع سنوات ونصف سنة. كما بيّن ما ترتب على هذه الطواعين من تعجيل بنهاية الدولة الأموية ونجاح الثورة العباسية عليهم سنة 132هـ. [4]

إن من تأثيرات الطواعين في الدولة الأموية هو وفاة رجالها القادة وشخصياتها السياسيّة الفذة المؤثرة، مماعجل بذاهب الدولة؛ فقد مات في الطاعون أمير الكوفة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه (ت 49 أو 50هـ)، إذ أورد ابن كثير (ت 774هـ) –في 'البداية والنهاية'– رواية تفيد بأنه في سنة 49هـ "وقع

---

[1] بذل ماعون في فضل الطاعون لإبن حجر صفحة363

[2] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي تحقيق محمد أبوالفضل الطبعة الأولى المكتبة العصرية1424هـ صفحة 192

[3] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لإبن تغري بردي طبعة دار الكتب مصر 1383 هـ ج 16 ص133

[4] الطاعون في العصر الأموي للعدوي المركز العربي للأبحاث ص 57

الطاعون بالكوفة فخرج منها المغيرة ، فلما ارتفع الطاعون رجع إليها، فأصابه الطاعون فمات".[1] رضي الله عنه.

كما مات بالطاعون أمير العراق زياد بن أبيه سنة 53هـ؛ فالذهبي (ت 748هـ) يحكي لنا -في 'سير أعلام النبلاء'- أنه "بلغ ابنَ عمر (ت 73هـ) أن زيادا كتب إلى معاوية: إني قد ضبطت العراق بيميني وشمالي فارغة، وسأله أن يوليه الحجاز. فقال ابن عمر: اللهم إنك إن تجعل في القتل كفارة فموتاً لابن سمية لا قتلا؛ فخرج في أصبعه طاعون فمات".[2]

وممن مات من رجال الدولة بسبب الطاعون وليُّ العهد أيوب بن سليمان بن عبد الملك (ت 96هـ) ، وعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ) الذي كان بمثابة المستشار لوالده.

وقد نشطت الطواعين في العراق بعد سنة 60هـ؛ ففي 64هـ -أو 65هـ على رواية- وقع طاعون في البصرة فهلك فيه خلق كثير، وانشغل الناس بدفن موتاهم حتى إن والي البصرة حينها كما أسلفنا ذلك عُبيد الله بن معمر التيمي (ت نحو 83هـ) ماتت أمه فلم يجد من يقوم بحمل جنازتها "فاستأجر لها أربعة علوج فحملوها إلى حفرتها"؛ [3]حسب ما حكاه الطبري.

كما مات فيه هند بن هند بن أبي هالة ابنُ ربيب النبي صلى الله عليه وسلم وحفيد أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (ت 3 ق.هـ) رضوان الله عليها، ويقال إنه مات في ذلك اليوم 70 ألف إنسان فشُغل الناس بجنائزهم عن تشييعه، فنادت نادبتُه: "واهند بن هنداه وربيب رسول الله، فلم تبق جنازة إلا وتُركت وحُملت جنازته إعظامًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم, حسبما أورده ابن عبد البر في الإستيعاب '.[4]

---

[1] ا البداية و النهاية لإبن كثير طبعة دار المعارف بيروت 1410 هـ جزء 8صفحة 48

[2] سير أعلام النبلاء للذهبي ط 3 الرسالة تحقيق الأرنؤوط 1405 هـ جزء 3 صفحة 495

[3] تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الثانية دار المعارف بمصر 1387هـ تحقيق محمد أبو الفضل 4\476

[4] الإستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر الطبعة الأولى دار الجيل بيروت 1412 هـ ا الصفحة 743

وينقل ابن كثير أن رجلا "أدرك زمن هذا الطاعون قال: كنا نطوف في القبائل وندفن الموتى، فلما كثروا لم نَقْوَ على الدفن، فكنا ندخل الدار –وقد مات أهلها– فنسد بابها" عليهم. [1]

ولم تمض خمس سنوات حتى جاء "طاعون مصعب بن الزبير" (ت 72هـ). وبحسب ابن قتيبة (ت 276هـ) في 'المعارف'؛ فقد كان هذا الطاعون الواقع بالبصرة عام 69هـ أولَ "طاعون جارف" في الإسلام. وقد جرّأ هذا الطاعونُ الرومَ على غزو المسلمين في الشام وتهديد دولة عبد الملك بن مروان (ت 86هـ)، حتى رأى أن يصالحهم مع ان معارضه مصعب بن الزبير كان في وضع اسوا منه، حيث كان فتك الطاعون في مقرّ إمارته بالبصرة,[2] و كذلك روى المدائني –في كتابه 'التعازي' وعنه نقله النووي (ت 676هـ) في 'شرح صحيح مسلم'– أنه كان يهلك به 70 ألفًا في اليوم الواحد.[3]

وأورد التوحيدي (ت بعد 400هـ) في 'الذخائر والبصائر' خبرا يعكس مدى أثر هذا الطاعون في إعادة تشكيل تقاليد الناس الاجتماعية؛ فقال إنه: "قيل لداود بن رشيد (الخوارزمي المتوفى 239هـ): لِمَ كره الناسُ أن يدخلوا بنسائهم في شوال؟ فقال: مات فيه_ اي في الشوال_ بالطاعون الجارف تسعة عشر ألف عروس."[4]

ويذكر ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ) –في 'المعارف'– أنه "لم يحضر الجمعة سوى سبعة رجال وامرأة، وعندما سأل ابن عامر إمام الجامع: أين الناس؟ ردت عليه امرأة: تحت التراب"![5]

---

[1] البداية والنهاية لإبن كثير طبعة دار المعارف بيروت 1410 هـ الصفحة 8\288

[2] المعارف لابن قتيبة الطبعة الثانية 1992 م تحقيق ثروت عكاشة نشر هيئة مصر الصفحة 601

[3] صحيح مسلم الطبعة الثانية دار السلام الرياض 2000م وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ص 66

[4] الذخائر والبصائر للتوحيدي ط دار صادر بيروت 2006 م الصفحة 257

[5]

المعارف لابن قتيبة الطبعة الثانية 1992 م تحقيق ثروت عكاشة نشر هيئة مصر الصفحة 601

لقد كان الطاعون هذه المرة لمصلحة بني أمية؛ حيث أنهك معارضيهم الزبيريين ثم لم يلبث الطاعون أن عاد إلى البصرة سنة 80هـ لينطلق منها إلى الشام والحجاز واليمن، وكان البلاء فيه شديدا حتى قال ابن كثير إنه "كاد أن يفني الناس من شدته"، وعاود الروم استغلال الكارثة فهاجموا أنطاكية.

ويذكر لنا المبرّد (ت 286هـ) –في كتابه 'التعازي والمراثي'– مقتطفاتٍ من فتك هذا الطاعون الجارف؛ فيقول: "هلك في ثلاثة أيام في كل يوم سبعون ألفاً. ومات لأنس بن مالك (ت 93هـ) فيه ثلاثة وثمانون ابناً...، ومات لعبد الرحمن بن أبي بكرة (ت 96هـ) أربعون ابناً...، وأخبِرتُ أن الدار كانت تصبح وفيها خمسون، وتصبح الغد وليس فيها واحد".[1]

وفي عام 80 هـ ضرب طاعونٌ مصرَ فَفَرَّ واليها عبد العزيز بن مروان (ت 85هـ) إلى حلوان تاركًا الفسطاط وقاصدا الصحراء، ولكن الموت أدركه فمات في الصعيد فيما بعد ؛ وفق ما يرويه ياقوت الحموي في معجم البلدان.[2]

ثم أعقبه "طاعون الأشراف" عام 86هـ في البصرة وسُمِّي بذلك "لما مات فيه من الأشراف ؛ حسب النووي في شرح مسلم.[3]

وكان الناس يتذمرون من اجتماع وطأة بلاء الوباء وقسوة حكم الحجاج (ت 95هـ)، فيقولون وفق رواية ابن تغري بردي في 'النجوم الزاهرة': "لا يكون الطاعون والحجاج" أي معا![4]

---

[1] التعازي والمراثي للمبرد الناشر مجمع اللغة العربية 1976 مصر م الصفحة 215

[2] معجم البلدان لياقوت الحموي طبعة دارصادر بيروت 1397هـ جزء 2 الصفحة 293

[3] النووي، صحيح مسلم الطبعة الثانية دار السلام الرياض 2000م وترقيم محمد فؤاد ج 8 ص 806

[4] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لإبن تغري بردي طبعة دار الكتب مصر 1383 هـ ج 5 ص 49

ثم أعقبه "طاعون الفتيات" عام 87هـ الذي انطلق من الشام إلى العراق، وسُمي بالفتيات لكونه بدأ بهن، وفيه كانت تهلك الأسرة فلا يبقى منها أحد؛ كما يذكر ابن أبي الدنيا في 'الاعتبار'.[1]

وكان الناس يحفرون فيه قبورهم بأنفسهم ليأسهم من النجاة، حتى إن التابعي بشير بن كعب بن أبي الحميري حفر قبرًا لنفسه وظل يقرأ فيه القرآن حتى مات ودُفن فيه؛ كما في ترجمته من 'تاريخ دمشق'.[2]

ردة فعل الرعاة والرعية في العصرالأموي

وقد فر الناس الرعاة والرعية الى الصحراء والبادية بمحاولتهم الابتعاد عن الناس ولو بالخروج من عاصمتهم دمشق إلى البادية حيث العزلة والهواء النقي، وأصبحوا معروفين بذلك حتى إن البلاذري يقول في 'أنساب الأشراف': "وكان الخلفاء وأبناء الخلفاء من بني أمية يتبدَّوْن ويهربون من الطاعون، فينزلون البرِّية خارجا عن الناس". بل إن الخليفة هشام بن عبد الملك (ت 125هـ) حاول أن ينقل عاصمة الخلافة الأموية من دمشق إلى الرصافة هربًا من الطواعين؛ وفي ذلك يقول الطبري –في تاريخه– إن هشاماً عندما أراد أن يبني الرصافة ليسكنها بدلا من دمشق، قيل له: "لا تخرج، فإن الخلفاء لا يُطعَنون، ولم نرَ خليفةً طُعن؛ فقال: أتريدون أن تجرّبوا بي؟فنزل الرصافة".[3]

واستمرت فورات الطاعون بين سنتيْ 114 و119هـ التي حصل فيها طاعون جارف بالبصرة. وفي عام 125هـ؛ وقع وباء في الشام فألجأ بيت الحُكم إلى أن يعقدوا بيعة الخلافة ليزيد بن الوليد (ت 126هـ) في البادية، ويقول الذهبي : إنه "توفي يوم الأضحى بالطاعون".[4] وتشير بعض المصادر –بينها 'الكامل في التاريخ' لابن الأثير (ت 630هـ–)إلى أن هذا الوباء مكث سبع سنين في الشام ومصر وشمال أفريقيا. لقد عانت الخلافة الأموية موجات موت عاتية من بضع طواعين جارفة وغير جارفة أهلكت الحرث والنسل، وغيرت الخريطة الديموغرافية لسكان الحواضر والقرى لا سيما في العراق. فتحوّل سكان

---

[1] الإعتبار لإبن أبي الدنيا الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة 1413هـ تحقيق نجم عبدالرحمان ص 321 ا

[2] تاريخ دمشق لابن عساكرتحقيق محب الدين العمروي دار الفكر بيروت 1415هـ جزء 10 ص 236

[3] تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الثانية دار المعارف بمصر 1387هـ تحقيق محمد أبو الفضل ج4 \ 221

[4] سير أعلام النبلاء للذهبي ط 3 الرسالة تحقيق الأرنؤوط 1405 هـ5\375

"سواد العراق الاخضر إلى الرعي بعد أن تفرقوا في البوادي وتركوا الزراعة والحواضر المعرَّضة للآفات، وانعكس هذا على الموارد الاقتصادية للدولة، ولم تغنِ محاولات الحجاج بن يوسف لإعادتهم قسرا وتوطينهم في قراهم.[1] فقد تراجعت مداخيل "سواد العراق" بنسبة اقل من النصف مقارنة بما كانت عليه في خلافة عمر بن الخطاب (ت 23هـ)، وهو –طبقا لما أحصاه عمر بن عبد العزيز ونقله عنه البلاذري في ‘فتوح البلدان‘– مئة مليون درهم، وأما ما جباه الحجاج بعد الطاعون فهو أربعون مليون درهم، بل ظل يتناقص حتى قال اليعقوبي (ت 284هـ) –في تاريخه– إن الحجاج مات وقد صار المبلغ "خمسة وعشرين ألف ألف درهم".وقد أدت لاحقا سياساتُ الحجاج بشأن توطين الزنوج في "سواد العراق" إلى أحداث سياسية كبرى، مثل "ثورة الزنج" المدمِّرة التي استمرت 15 عامًا بين 255 و270هـ. أما على المستوى العسكري؛ فقد تراجع عدد الجند بشكل رهيب في سنوات الطواعين، وتقدر نسبة الجنود المثبتين في دواوين الجند بالعراق الى العشر فقط مما كانوا عليه في عهد معاوية؛ حسبما لاحظه الباحث المعاصر أحمد العدوي في كتابه السابق ذكره.[2]

ومن هنا نفهم الأسباب التي اضطرت الدولة الأموية إلى التجنيد القسري للفلاحين ولأهل الذمة، كما يذكر بطريك أنطاكية ديونيسيوس التلمحري (ت 230هـ) في كتابه ‘التاريخ المنحول‘.[3]

نتائج الطواعين على حكم بني أمية وزوالهم

جرى القدر على بني أمية ولمصلحة بني العباس وكما استغل المسلمون –بعد القادسية– "طاعون يزدجرد" فتعمّقوا في أراضي الدولة الساسانية، موسعين حدود دولتهم الجديدة على أنقاض مملكة الساسانيين, وهذا رأي فيه نظر كما أسلفت , أسعف الزمان الثوار العباسيين حين اتفق لهم أن يأتي إعلان ثورتهم بين

---

[1] الطاعون في العصرالأموي للعدوي الناشر المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2018 م ص 87

[2] نفس المصدر ص 88

[3] التاريخ المنحول لديونبوس التلمحري ترجمة متي اسحاق بيروت الصفحة 23

طاعونين رهيبين عصفا بخلافة بني أمية: "طاعون غُراب" -"وغراب رجل من قبيلةالرباب"كما يقول ابن العربي المالكي (ت 543هـ) في شرحه للموطأ- سنة 127هـ، وطاعون مسلم بن قتيبة سنة 131هـ.[1]

وقد روى المدائني أنه في طاعون 131هـ كان يُحصى كل يوم في سكة المربد ألف جنازة، وأباد الطاعون سكان البصرة أو كاد يبيدهم طبقا لرواية أوردها الطبري في تاريخه عنه ؛و كذلك فإن الأمويين استغلوا جائحة طاعون 131هـ فقتلوا بالسمّ الإمام إبراهيم بن محمد بن علي (جد خلفاء بني العباس) في سجنه عندهم بحرّان، ثم أعلنوا موته بهذا الطاعون.[2]

ونلاحظ عموما في عصر الأمويين أن الطواعين التي لم تبدأ من الشام كانت تنطلق من البصرة، وذلك لاتصالها بموانئ الهند والصين وما قد يصاحب السفن القادمة منهما من بضائع ملوثة وأشخاص وقوارض ناقلين للأمراض عبر طرق النقل البحري والبري, والله اعلم.

ووفقاً لكتاب بعنوان "تاريخ الزوقنيني" منحول للبطريرك ديونيسيوس التلمحري؛ فقد سجل راهب "دير زقنين" في ديار بكر آثار طاعون سنة 132هـ على الدولة الأموية، فوصف -بجُمل مختصرة- الصراع السياسي الدائر حينها والذي كانت تصله أخباره، فقال: "الكارثة التي أحالت المدن إلى معصرة غاصّة بالأرجل، تفري ساكنيها دونما رحمة أو شفقة كأنهم العنب اللذيذ...، يُدفن في النعش الواحد جثتان أو ثلاثة أو أربعة أطفال...، الجثث في كل مكان على الأرصفة والطرقات"؛ ثم يختم بجملة معبّرة تقول إنه رغم كل ذلك: "لم يكفّ العرب أبدًا عن الشجار وتبادل الأذى).[3]كما هو حالنا الان في زمن وباء الكرونا أو الكوفيد 19 وهناك مقاطعات و خلافات ومكائد بين الدول الأشقاء, والمطلوب التعاون والتكاتف بدل التناحر والتنافس, والله المستعان.

لم تؤد الطواعين إلى زوالِ دولٍ فحسب، وإنما قطعت أيضا نسل شخصيات مركزية في حركة فتوح الإسلام؛ فالمؤرخ النسابة ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ) يفيدنا -في ‘جمهرة أنساب العرب‘- بأنه

---

[1] الطاعون في العصر الأموي للعدوي ص 105

[2] تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الثانية دار المعارف بمصر 1387هـ تحقيق محمد أبو الفضل جزء 7 435

[3] تاريخ الزوقنيني المنحول للتلمحري ط 2006 م المكتبة البولسية بيروت الصفحة 60

"كثُر وَلَدُ خالد بن الوليد (ت 21هـ) حتى بلغوا نحو أربعين رجلا، وكانوا كلهم بالشام، ثم انقرضوا كلهم -في طاعون وقع- فلم يبق لأحد منهم عَقِبٌ,[1] و في رأي الشخصي هذا الكلام ربما فيه مبالغة.

وبقيت الطواعين تتكرر حتى سنة 136هـ عندما توقفت في أوائل خلافة المنصور العباسي (ت 158هـ) ، فكان المنصور يمتنّ على الناس بأن رفع الله عنهم الطواعين بسبب بركة خلافة أهل بيته؛ فقد جاء عند الثعالبي: "قال المنصور يوما لأبي بكر بن عياش (ت 193هـ): من بركتنا أن رُفِع عنكم الطاعون! فقال (ابن عياش): لم يكن الله ليجمعكم علينا والطاعون.[2]

الفصل الثالث: الطاعون في العصر العباسي

قلّت الطواعين في بداية عهد بني العباس فأتاح لهم ذلك -ضمن عوامل أخرى- توطيد خلافتهم. لكن الطواعين ظلت متواصلة وإن بوتيرة أبطأ؛ ومن أهمها طاعون عجيب وقع عام 346هـ فكثر فيه الموت بالفجأة، حتى إن أحد القضاة لبس ثيابه ليخرج إلى مجلس القضاء فأصيب بالطاعون فمات وهو يلبس أحد خُفّيْه؛ حسب ابن حجر رحمه الله في 'بذل الماعون'.ووقع طاعون سنة 452هـ في الحجاز واليمن حتى خربت قرى كثيرة فلم تعمر بعد ذلك، وصار من يدخلها يهلك من ساعته.[3]

وينقل ابن حجر في كتابه بذل الماعون عن سبط ابن الجوزي (ت 597هـ) -في 'مرآة الزمان' ضمن حوادث عام 449هـ- ورود كتاب أو رسالة من مدينة بخارى بأخبار طاعون مات فيه اكثر من ألف ألف نفس ــيعني مليون نفســ حتى لحظة كتابة ذلك الكتاب ثم انتقل إلى أذربيجان وفارس والعراق، فكانوا يدفنون الناس في مقابر جماعية, وكانت أعراضه غريبة؛ إذ يخرج من فم المصاب به قِطع دم أو دود فيموت. وكان الأطفال والنساء والشباب يموتون فيه دون الشيوخ، ولم يمت من العساكر والشيوخ إلا القليل حسب قول اميرالمؤمنين في الحديث ابن حجر في 'بذل الماعون في فضل الطاعون '.[4]

---

[1] جمهرة أنساب العرب لإبن حزم نقلا من الموسوعة الشاملة الإلكترونية 1\67

[2] ثمار القلوب للثعالبي في المضاف والمنسوب ط 1424م المكتب العصرية بيروت الصفحة 63

[3] بذل الماعون لابن حجر الصفحة 365

[4] بذل الماعون لابن حجر الصفحة 365 حتى 367

ويروي ابن حجر في البذل عن سبط ابن الجوزي آيضا –في 'مرآة الزمان'– أن الطاعون دخل دمشق سنة 469هـ وكان فيها نحو خمسمئة ألف شخص، فلم يبق منهم سوى ثلاثة آلاف، وكان من جملتهم مئتاوأربعون خبازًا فبقي منهم اثنان فقط!, وفي 478هـ وقع طاعون في العراق ثم عمّ الدنيا، حتى كان أهل الدرب يموتون فيُسَدّ الدرب عليهم فقط ويتركون.[1]

-الفصل الرابع: طواعين العهد المملوكي (922–648هـ/1250–م1517) م

بعد تراجع وتيرة حدوث الطواعين في القرون الأولى من خلافة بني العباس؛ عاد لها نشاطها المكثف في العهد المملوكي بالشام ومصر والحجاز، فكانت تتكرر بمعدل طاعون كل 15 عامًا. ويبدو للمتتبع لطواعين العصر االمملوكي أن حلب والإسكندرية كانتا بؤرتيْن لانتشار الأوبئة والطواعين، ولعل مردّ ذلك المكانة المركزية التي تبوأتها المدينتان في التجارة الدولية البحرية والبرية ، وخاصة مع الأوروبيين. فقد كانت حلب مركزًا لطواعين أعوام: 787، 826، 841هـ، والإسكندرية بؤرة لطواعين أعوام: 782 و788 و790 و873هـ؛ حسبما جاء في رسالة دكتوراه للباحث بلقاسم الطبابي بعنوان 'الموت بمصر والشام في العهد المملوكي'.[2]

و المؤرخ والشاعر ابن الوردي (ت 749هـ) يصف –في رسالته 'النبأ عن الوبأ'– طاعون 749هـ الذي تحدى الطاعون في شعره فقضى فيه نحبه، ويرسم لنا خريطة حركة الوباء؛ فنجد أنه ينتقل مع خطوط التجارة في البحر والبر، ويذكر تخطّي الطاعون لمعرة النعمان التي كان يسكنها هو، فيقول: "ثم دخل معرة النعمان فقال لها بيته المشهور : أنت مني في أمان، حماة تكفي في تعذيبك، فلا حاجة لي بك:

وما الذي يصنع الطاعونُ في بلد ** في كل يوم له بالظلم طاعون[3]

---

[1] بذل الماعون لابن حجر الصفحة 365 حتى 367

[2] الموت بمصر والشام في العهد المملوكي الطبعة الأولى 2014 م الدار التونسية للكاتب الطبابي ج 1 ص 90

[3] ديوان ابن الوردي الطبعة الأولى تحقيق أحمد فوزي دار القلم الكويت 1407هـ ص 89

ولستُ أخاف طاعوناً كغيري

فما هو غير إحدى الحسنيينِ

فإن متُّ، استرحتُ من الأعادي

وإن عشتُ، اشتفتْ أذني وعيني

ثم وقع الطاعون الأسود عام 833هـ الذي كان ابن حجر رحمه الله تعالى شاهد عِيان عليه، فوصفه – في 'بذل الماعون'– بأنه "أوسع من هذه الطواعين كلها وأفظعها، ولم يقع بالقاهرة ومصر –بعد الطاعون العام الذي كان في سنة تسع وأربعين وسبعمئة– نظيرُ لهذا الطاعون".

ويسجل لنا ابن حجر –وهو الخبير بالطواعين لكثرة ما شاهده منها وعاناه من مصائبها في أهل بيته بل ونفسه– أن طاعون عام 833هـ كان مباينًا لما قبله من الطواعين في أشياء كثيرة؛ منها التوقيت حيث "وقع في الشتاء وارتفع في فصل الربيع، وكانت الطواعين تقع في فصل الربيع وترتفع في أوائل الصيف"؛ ومنها أن "غالب من كان يموت بالطاعون يغيب عقله، وهذا يموت المطعون وهو يعقل"[1], وإستمرت الطواعين في مصر خاصة متقطعة الى العصر العثماني ثم عهد محمد علي باشا الذي بلى بلائا حسنا في مواجهتها وفق ماكتب التاريخ عنه رحمه الله تعالى.

---

[1] بذل الماعون لابن حجر الصفحة 369

الفصل الخامس: طواعين العصر العثماني (1342-680)هـ/1281-1924م

وتعد التجربة المصرية في مكافحة الطاعون أحد أبرز التجارب التي زخر بها التاريخ العثماني ولذلك سنلقي عليها مزيدا من الأضواء ، حيث استطاع محمد علي باشا الذي حكم مصر نائبًا عن السلطان العثماني في الفترة من 1805 إلى 1848، في القضاء على هذا الوباء و الطاعون بعدما فشلت عشرات الحكومات السابقة في دحره وأسفر عن سقوط أعداد هائلة من الضحايا سواء من المصريين وأهل الشام والأتراك.

وكخيرمثال لطواعين العصرالعثماني ما وقعت في مصر ورغم أن الوباء كانت بداية انتشاره خلال عامي (1347- 1349م) فإنه حول القاهرة إلى مدينة أشباح، وصفها المؤرخ الشهير تقي الدين المقريزي بقوله: "أضحت خالية مقفرة لا يوجد في شوراعها مار، بحيث يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر، فلا يرى من يزاحمه لكثرة الموتى والاشتغال بهم، وعلت الأتربة الطرقات وتنكرت وجوه الناس، وامتلأت الأماكن بالصياح فلا تجد بيتًا إلا وفيه صيحة، ولا تمر بشارع إلا وفيه عدة أموات، وصارت النعوش لكثرتها تصطدم والأموات تختلط، ويقال بلغت عدة الأموات في يوم واحد عشرين ألف، وأحصيت الجنائز بالقاهرة فقط في شهري شعبان ورمضان بتسعمائة ألف، وعدمت النعوش وبلغت عدتها ألف وأربعمائة نعش، فحُملت الأموات على الأقفاص وألواح الخشب، وصار يُحمل الإثنان والثلاثة في نعش واحد على لوح واحد". [1]

وقال المقريزي آيضا (1364م – 1442م): "لم يكن هذا الوباء كما عُهد في إقليم دون إقليم، بل عم أقاليم الأرض شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا، جميع أجناس بني آدم وغيرهم، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر" أي لم يترك وباء الطاعون حين انتشر بلدًا إلا ودخله![2]

---

[1] السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي تحقيق محمد مصطفى مطبعة لجنة التأليف والترجمة 1970 م ج4 ص87

[2] نفس المصدر ج 3 ق3 ص 773

هذا التفشي غير المسبوق في التاريخ المصري ألقى بظلاله على الحياة العامة،فألحق ندرة كبيرة بأصحاب الحرف وفي جملتهم المقرئون والحمالون وحفارو القبور لكثرة الموتى، وما ترتب على ذلك من حراك اجتماعي صاعد، فأصبح بعضهم من أصحاب العقارات لهلاك أصحابها الأصليين من المماليك، وهنا يستطرد المقريزي إلى أن الزروع حين أتى وقت حصادها ولم يتوافر لها من يقوم بحصادها، فخرج أصحابها من الجنود وغلمانهم لينادوا: من يحصد ويأخذ نصف ما يحصده؟ فلم يجدوا من يساعدهم في ضم الزروع، فداسوا غلالهم على خيولهم وذروها بأيديهم وعجزوا عن كثير من الزرع فتركوه.[1]

وفيه يروي المؤرخ المصري جمال الدين بن تغري بردي (ت 874هـ) في كتابه "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" ابتداء هذا الطاعون القاتل في مصر في خريف سنة 748هـ/1347م قائلا: "كان فيها الوباء الذي لم يقع مثله في سالف الأعصار، فإنه كان ابتدأ بأرض مصر آخر أيام التخضير في فصل الخريف في أثناء سنة ثمان وأربعين، فما أهلَّ المحرّم سنة تسع وأربعين حتى اشتهر واشتدّ بديار مصر في شعبان ورمضان وشوّال، وارتفع في نصف ذي القعدة، فكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف نفس إلى عشرين ألف نفسٍ في كلِّ يوم، وعملت الناس التوابيت والدّكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجرة، وحُمل أكثر الموتى على ألواح الخشب وعلى السلالم والأبواب، وحُفرت الحفائر وأُلقِيت فيها الموتى، فكانت الحفيرة يُدفن فيها الثلاثون والأربعون وأكثر، وكان الموتُ بالطّاعون،وكان المصاب يبصقُ دمًا ثمّ يصيح ويموت، ومع هذا عمّ الغلاء الدنيا جميعها، ولم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم، بل عمّ أقاليم الأرض شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا جميع أجناس بني آدم وغيرهم، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البرّ".[2]

وبين عامي 1757- 1758م، ظهر في مصر طاعون جديد، وصفه المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي (1753-1822) وشبهه بـ"قارب شيخة الذي أخذ المليح والمليحة"[3]، وربما يقصد بهذا التعبير أنه كان

---

[1] السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي تحقيق محمد مصطفى مطبعة لجنة التأليف والترجمة 1970 م ج 3 ص 733

[2] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لإبن تغري بردي طبعة دار الكتب مصر 1383 هـ ج 10 ص 163

[3] عجائب الأثارفي التراجم والأخبار الجبرتي تحقيق د: عبدالرحيم عبدالرحمن ط 1998م دار الكتب المصرية ج 1 ص 125

يخص ببطشه صغار السن من الشباب، مثلما كان الحال مع بعض الطواعين التي شهدتها أوروبا إبان الجائحة الطاعونية الثانية.

وفي نهاية الحملة الفرنسية على مصر وقع وباء آخر، اجتاح الشام ومصر واطراف الدولة العثمانية كذلك، وفي وصفه كتب الشيخ حسن العطار رسالة للجبرتي من مدينة أسيوط (جنوب) قال فيها "كان يموت من أسيوط زيادة على الستمئة.. وعلى التخمين مات الثلثان من الناس، ولو شئت أن أشرح لك يا سيدي ما حصل من أمر الطاعون لملأت الصحف".[1]

حكمة الوالي محمد علي باشا في حربه على الطاعون في مصر

ومع مرور الوقت انحصر الوباء في دول أوروبا في مطلع العصر الحديث، لكنه ظل في بعض الدول من بينها الشام و مصر، حتى بداية القرن التاسع عشر، حين تقلد محمد علي باشا (1769- 1849) مقاليد الأمور1805م ، بعد سنوات من الفشل العثماني في التعامل مع هذا الطاعون الذي كان سببًا في هلاك معظم اهل الشام ومصر في هذا الوقت، وهنا يذهب المؤرخون إلى أن عدد سكان مصر وصل بداية حكم الوالي العثماني الجديد إلى 3 ملايين شخص بعدما كان العدد ثلاثة أضعاف ذلك قبل ذلك اي من 9 الى 10 مليون تقريبا.[2]

تيقين محمد علي باشا أن تعزيز مشروع إنقاذ البشر ومن ثم إستثمارهم لن يكون إلا بنظام صحي قوي قادر على دحر أي تداعيات للأوبئة، ومن ثم سعى لتوفير منظومة متكاملة من الرعاية الصحية، ولذا أنشأ أول نظام صحي قوي تدعمه الحكومة في عالم البحر المتوسط، ربما لم يوجد نظام مشابه له في بريطانيا العظمى حتى عام 1945. استفاد من طلاب الطب الأتراك، حيث كان الأتراك متقدمين على المصريين بنحو نصف قرن في الطب بحسب الباحث شيلدون واتس، في كتابه "الأوبئة والتاريخ المرض والقوة والإمبريالية" الذي ترجمه المركز القومي للترجمة بالقاهرة.[3]

---

[1] عجائب الأثارفي التراجم والأخبار الجبرتي تحقيق د: عبدالرحيم عبدالرحمن ط 1998م دار الكتب المصرية ج2 ص439

[2] الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الأمبرالية شلدون واتس ترجمة احمد محمود ط 2010م ص 133

[3] نفس المصدر ص 124 الى ص 134

استعان محمدعلي باشا بالطبيب الفرنسي كلوت بك الذي عهد إليه بتنظيم الإدارة الصحية للجيش المصري، وصار رئيسًا لأطباء الجيش، ثم افتتح "مدرسة الطب" في أبي زعبل عام 1827، وتولى إدارتها، وكانت أول مدرسة طبية حديثة على النمط الأوروبي في الدول العربية، وكانت تضم 720 سريرًا، التي نقلت بعد ذلك إلى القصر العيني.

ألحق الطبيب الفرنسي خريجي الأزهر والشريعة بمدرسة الطب، وبحلول عام 1830 انطلق خريجو "قصر العيني" للعمل في العيادات القروية فيما كان كلوت بك رافضًا أن يسموا أنفسهم أطباءً، وبعد أربع سنوات ضُربت مصر بأول نوبتي مرض شديدة بالطاعون أي عام 1834.[1]

فرض محمد علي باشا حجرًا صحيًا على السفن التركية بعد ظهور الطاعون في إسطنبول 1812، ثم أسس مستشفى للأمراض المعدية ومخزن بدمياط (ميناء مصر في هذا التوقيت) لكن رغم كل تلك الاحتياطات دخل الطاعون الموانئ المصرية الواقعة على البحر المتوسط بمعدلات كبيرة عام 1834، ما اضطره لاتخاذ إجراءات أكثر قسوةً لمواجهة الوباء. وفي المقابل صعد الحاكم من فرض التدابير الصحية، وأمر جنوده باستخدام القسوة للحد من انتشار الطاعون، ففي أي قرية مشتبه فيها كان الفصل يتم بين الضحايا الأحياء المرضى وأفراد أسرهم عن الفلاحين الأصحاء فيوضعون في الحجر الصحي عنوة ، وكانت القرية تحاط بأكملها بكردون صحي يحرسه جنود أُعطوا أوامر بإطلاق النار والقتل على كل من يحاول الفرار.[2]

أما على المستوى الداخلي في القرى المصابة، كانت تحرق الملابس ومتعلقات المتوفي بالطاعون، وكان يتم ترحيل الفلاحين الآخرين ويفصلون بحسب الجنس ويجبر الرجال والنساء كل على حدة بالاستحمام وهو ما أثار حفيظة الأهالي الذين كانوا يرفضون التعري أمام الأطباء والممرضات، وبعد الانتهاء من الحمام كانت تقدم للفلاحين ملابس وجلاليب جديدة ونظيفة، ويظلون لعدة أيام تحت الإشراف الطبي في العزل .[3]

[1] الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الأمبرالية شلدون واتس ترجمة احمد محمود ط 2010م ص 124 الى 134

[2] الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الأمبرالية شلدون واتس ترجمة احمد محمود ط 2010م ص 124 الى 134 مع تصرف بسيط

[3] من نفس المصدر ص 124 الى ص 134

وعلى الحدود والممرات، فرضت الحكومة إجراءات قاسية على السفن القادمة من موانئ المتوسط المشتبه فيها، حتى تلك القادمة من عاصمة الدولة العثمانية ذاتها، وكانت النتيجة أن تناقص الطاعون تدريجيًا ثم انقطع، وأصبحت مصر بعد ذلك خالية من الطاعون وربما استمرت على ذلك طوال ثلاثة أجيال. [1]

والتجربة المصرية تعتبر أرقى انواع التعامل مع الأوبئة في تلك العصر في حين كانت الاوبئة والطواعين منتشرة ايضا في بلاد المسلمين التي يحكمها المغول كالهند والسند والبنغال , أوالتي يحكمها الصفويون كخراسان وأفغانستان وايران والقوقاز ولكن المعلومات التاريخية شحيحة من تلك المنطق بالنسبة للخلافة العثمانية.

الفصل السادس: طواعين عصر الاستعمار و العصر الحديث (ما بعد الخلافة إلى اليوم) 1924– – 2020 م

و لم تسلم البشرية من الأوبئة والطواعين ومنها بلاد المسلمين في العهد الاستعماري او الحديث حتى يومنا هذا لان الاوبئة والطواعين تظهر اما في بقعة جغرافية صغيرة وبنوع ونمط معين كما هو الحال في مصر والهند حيث تفشي الملاريا و الكوليرا والجدري و السل و فيروسات التهاب الكبد الوبائي, والكوليرا في العراق وحمى الضنك في باكستان وغيرها والأيدز ومرض ايبولا في البلدان الإفريقية المسلمة, او تظهر و تتفشى كالجوائح والتي تضرب بقع جغرافية اكبر مثل القارات بل العالم مثل انفلونزا اسيا وهونغ كونغ عام 1969في القرن العشرين, و ومرض سارس عام 2002م, إنفلونزا الخنازير عام 2009م , ومرض أوجائحة الكوفيد19في القرن الحالي والزمن الحالي والتي لازل نعيشها وهي وباء وجائحة تضرب العالم بأثره وأحدثت الدمار الشامل في البشر والإقتصاد والبنية التحتية وشلت جميع نواحي الحياة حتى الدينية حيث أغلقت المساجد والجوامع ,ولا ندري ماذا ستكون النتيجة و سنذكربعضا من حقائقها في السطور التالية ان شاء الله تعالى,لكن نؤمن بأن الله هو الوحيد القادر بإخلاصنا من هذه الوباء و عليه وحده التكلان فإنه نعم المولى والنصير.

---

[1] الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الأمبرالية شلدون واتس ترجمة احمد محمود ط 2010م من ص 124 الى ص 134

الفصل السابع:جائحة الكرونا أو ما يسمى بالكوفيد 19 الحالي المستجد

وباء الكوفيد-19 هو مرض معد يسببه فيروس مستحدث ومستجد تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا سارس . ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس الجديد ومرضه قبل بدء تفشيه في مدينة ووهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر2019 ,حسب منظمة الصحة العالمية [1] , وينتشرعن طريق الرذاذ المتطايرمن المرضى بالإستنشاق او عن طريق لمس المريض اوإفرازاته وخاصة اللعابية والتنفسية,والموت عنه بسبب ضيق النفس الشديد والخنق التنفسي الشديد اوما يسمى بالمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة القاتلة ,ومما زاد الطين بلة أنه حتى الان لايوجدله لقاح او مصل اوعلاج أساسي لهذا المرض المخيف[2] , وقد تحوّل الكوفيد-19 الآن إلى جائحة ووباء تؤثر على العديد من بلدان العالم, واصيب حتى اليوم 8 صفر 1442 هجري والموافق 25 سبتمبر 2020 ما يقارب بل يزيد على 32 مليون شخص مصاب في العالم وعدد الموتى تقريبا 900,000 نفس في العالم والأرقام في الإزدياد مع كل دقيقة من الزمن[3], وقد تعطلت الحياة في معظم البلدان فالوزارات تعطلت والجامعات والمدارس اغلقت والمساجد ودورالعبادة توقفت ماعدا الاذان ومعه نداء (الا صلوا في بيوتكم) ! والاسواق والبورصات والتجارة والحركة المالية والاقتصادية والنقل الجوي تعطل آيضا, والخسائر بالمليارات وفي مقابلها كسب البعض المليارات وحتى الان السبب غير معروف هل هو بفعل فاعل او طبيعي وقدري , الله اعلم سيكشف عنه الأيام ولكن هذه الوباء معانة ذاق الجميع مرها ومرارتها الكل, القوي والضعيف والغني والفقيروالصغير والكبير من تعطيل الحياة والحجر الصحي والمرض والبطالة والخسائر, ولم تتعطل المستشفيات بل وزادت فأنشئت مئات المستشفيات الميدانية والأطباء وجميع العاملين في القطاع الصحي نصيبهم من هذا المعانة اضعاف مضاعفة ولازل فالعمل وساعات العمل صارت مضاعفة أو اكثر, والضغط النفسي والتوترات النفسية وحالات سوء التكيف مع الوضع المتزم بالازدياد ولازل الا من رحم ربك والحمدلله على كل حال ونعوذ

---

[1] من موقع منظمة الصحة العالمية اللاإلكتروني www.who.int

[2] الان بعد عدة أشهرهناك البشائر بوجود إكتشاف تطعيم لمرض الكوفيد 19 والحمد لله

[3] إحصائية الموقع الإلكتروني بتاريخ 25\9\2020 والرابط أسفله
https://news.google.com/covid19/map?hl=ar&gl=EG&ceid=EG:ar

بالله من حال أهل النار, ولكن سبحان الله عرف الناس الغث من السمين والمفيد من الضار وبان جوهر العلم والعلماء والأطباء على السفهاء واهل اللعب واللهو الغير مباح ,وانتشرت هذه الوباء في كل بلدان المسلمين كايران اولاومصروتركيا وباكستان واندونسيا ومليزيا والشام والعراق ودول المغرب والدول التي في افريقيا واسيا وغيرهاودول الخليج وكانت دولة قطر أحسن حالا في الدول الإسلامية بل في دول العالم فكانت بعد السنغافورة مباشرة في قلة الوفيات وكان ذلك بفضل الله عزوجل ثم بحسن السياسة والحزم والإهتمام الشديد من قبل نظام الدولة بصحة كل من عاش على تراب قطر الحبيبة , حفظها الله عزوجل وكل بلدان المسلمين , أمين. والكلام يطول في مرض الكوفيد 19 وربما تؤلف فيه مجلدات وليس هذا مقامه والحمدلله على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار.ولكن مع ذلك لهذه الجائحة كثير من مزايا وحسنات منها مثلا رجوع الناس الى الله عزوجل والتوبة وفعل الخيرات وصلة الأرحام ولو عن بعد ومساعدة الناس لبعضهم البعض ولو في البلدان البعيدة كما فعلت دولة قطر وأشادت بذلك الأمم المتحدة, وآيضا إكتشاف طرق جديدة للعمل والعلاج عن بعد وكذلك التعليم عن بعد وغيرها كثير فكانت هذه الجائحة المطعونة رحمة كما قال الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام (وهورحمة)[1] لما سألت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها, كما هو مذكور في صحيح البخاري, وسنشرحه بمزيد البيان في حينه إن شاء الله تعالى.

---

[1] رواه البخاري برقم 5734

الفصل الثامن:أوهام وحقائق في فهم الطاعون والعدوى والوباء

مع تتابع موجات الطاعون والأوبئة عبر العصور؛ حاول الأطباء أن يجدوا تشخيصًا دقيقًا له والوقوف على أسبابه، فوجدنا بالبحث والمتابعة أن ابن سينا وابن النفيس (ت 687هـ) يرجعانه إلى "فساد في الهواء". يقول ابن النفيس فيما يعزوه إليه ابن حجر في 'بذل الماعون': "الوباء ينشأ عن فساد في جوهر الهواء بأسباب خبيثة سماوية أو أرضية، كالشهب والرجوم في آخر الصيف،والماء الآسن والجيف الكثيرة، ولذلك بادروا إلى استصلاح الهواء" أي تطهيره وتنظيفه, وفي الكلام حق وباطل.[1]

وبهذا يستهلّ الطبيب الأندلسي محمد الشقوري (ت 776هـ) كتابه عن الوباء بفصل يتناول "إصلاح الهواء"؛ فيقول فيه: "يكون استصلاحه بتبخيره لقطع تلك الأبخرة الفاسدة –بالمرّ والمصْطكَى والسندروس والكندر والميعة– في الأجواء الباردة والضباب. أما في الحر والصفاء والأماكن الجافة؛ فالورد والصندل والكافور والعود الهندي" هي التي يبخّر بها الهواء لاستصلاحه[2]. ولعل فكرة استصلاح الهواء بالبخور قريبة الشبه بما نراه اليوم من تعقيم الدول لشوارع مدنها وساحاتها العامة برش المبيدات والمعقمات، بقصد مكافحة فيروس كورونا ونحوه.

كما اعتمدوا على وصف بعض المطعومات كنوع من التداوي فوصفوا للمرضى "اللحوم البيضاء من الطيور، وخَلّ التفاح والسُّماق وخل الليمون، وأما الحِصرم فغاية في هذا الباب، ومن صنع من التفاح الحامض والحِصرم مُربى ولعق منه في الغدوات فنعم الدواء"؛ كما يقول الشقوري[3].و ام الان في وباء كورنا الواقع فينصح باكل الكرنفل والبصل والليمون والحب الأسود والآخير ورد نفعه في الأحاديث النبوية الشريفة ولاشك، والذي غاب عن الأسواق تماما!.

وكان ابن سينا يقول بوجوب فصد المطعون، بينما هجر ذلك المتأخرون لعدم جدواه.
والحاصل أن كل هذه العلاجات كانت رميًا في عماية ولم تمنح المرضى شفاءً ولا عافية, وهي منحصرة

---

[1] بذل الماعون لابن حجر ص 100

[2] من موقع الجزيرة بحث مقالي لعبد القدوس الهاشمي www.aljazeera.net/amp/turath

[3] من موقع الجزيرة بحث مقالي لعبد القدوس الهاشمي www.aljazeera.net/amp/turath

في: الفصد والاستفراغ، وتقوية القلب بالتبريد والتعطير، وملازمة السكون والدعة لتسكين "هيجان الأخلاط". ولما بان عجز الأطباء عن التعامل مع هذه الظاهرة الطبيّة؛ سلّم حذاقهم أنه لا دواء لها ولا دافع لها إلا الذي خلقها وقدرها؛ طبقا لما أورده السيوطي (ت 911هـ) في كتابه 'ما رواه الواعون في أخبار الطاعون' ونسبه إلى ابن القيم (ت 751هـ) في 'زاد المعاد'[1].و هو الحق المبين, وقد دار الزمان فحتى الان لم يستطيع العالم ولا العالم المتقدم أن يأتوا بدواء ناجع حتى اليوم[2] لداء الكرونا والكوفيد19 مئة في المئة, ولذلك أيها الناس ففروا الى الله ونعم بالله عزوجل.

وقد لاحظ السيوطي عبثيّة هذه الإجراءات؛ فقال كما نقله عنه مرعي الكرمي الحنبلي (ت 1033هـ) في كتابه 'تحقيق الظنون بأخبار الطاعون': "أكثرَ الناسُ في الطاعون من أشياء لا تغنيهم وأمور لا تعنيهم، ولم أعوّل على ذكر شيء مما ذكر الأطباء فيما يستعمل أيام الطاعون، لأنه شيء لا فائدة فيه، وهم إنما بنوْا ما ذكروه على ما قرروه من أن الطاعون ناشئ عن فساد الهواء، وقد تبين فساد ما قالوه"[3].

بل إن بعض الفقهاء كانوا أشدّ لهجة من ذلك مع الأطباء؛ فلم يعذروهم باستفراغهم وسعهم بل رموهم بالجهل، كما نجد عند أبي المظفر السُّرَّمَرّي (ت 776هـ) في كتاب 'ذِكْر الوباء والطاعون'، حيث يصفهم بـ"الجهال المنتسبين إلى العلم وليسوا من أهله"[4]، وينقل عن فقهاء المغرب إلحاقهم أهل الطب بالجاهلية بحديثهم عن "مذهب أهل الطب والجاهليّة[5], ولاشك في ذلك كما تنشر اليوم من علاجات ووصفات عند العوام كأكل البصل وتقطيعه بهيئة معينة كدوائر والليمون والزنجبيل والكرنفل غيرها ما انزل الله من سلطان لجائحة كورونا الحالي (الكوفيد19) , فالله المستعان إلا الحب الأسود لورود نفعه في الأحاديث النبوية الشريفة بلا شك وشبه, و عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله

---

[1] مارواه الواعون في أخبار الطاعون للسيوطي تحقيق محمد البار 1418هـ دار القلم بيروت ص 147

[2] لكن هذه الأيام في ديسمبر 2020 توصل بعد الدول إلى صنع التطعيمات والأمصال لمرض الكوفيد 19

[3] مارواه الواعون في أخبار الطاعون للسيوطي تحقيق محمد البار 1418هـ دار القلم بيروت ص 147

[4] ذكر الوباء والطاعون للسرمري تحقيق شوكت رفقي طبعة دارالمحبة دمشق 1425م ص 44

[5] نفس المصدر

عليه وسلم يقول: «فِي الحَبَّةِ السوْدَاءِ شِفَاءٌ من كل دَاءٍ إلاَّ السَّام»[1].

وقديما لما استيأس العلماء والفقهاء من الاطباء فجعلوا من نصوص الشرع ملجأهم في التعويل على فهم الطواعين والأوبئة، وتقيّدوا بالفهم الحرفي الظاهري للنصوص في غالب أحوالهم, وعلى هذا الأساس تمسكوا بالأحاديث الواردة في الطاعون بظاهرها.

ولتواضع وشح المعلومات الطبيّة لم تتفتح لهم مقاصد "الحجر الصحي"؛ حتى إن ابن عبد البر (ت 463هـ) يقول فيما نقله عنه ابن حجر في ‘بذل الماعون‘: "لم يبلغني أن أحدا من أهل العلم فَرّ من الطاعون، إلا ما ذكره المدائني أن علي بن زيد بن جدعان هرب من الطاعون إلى السيالة يعني من البصرة...، فكان إذا جمّع صاحوا به : فَرّ من الطاعون, كنكاية به. [2]

ولعل أدق ما ورد في التقاط دلالة الحديث ومقصده هو ما فعله عمرو بن العاص (ت 43هـ) عندما أمر الناس –وكان أميرا عليهم– بالتفرّق في الجبال حين وقع طاعون عمواس بالشام، فنجا ونجا الناس معه. فقد روى الطبري –في ‘تاريخه‘– أن عَمْراً خطب في الناس فقال: "تفرقوا من هذا الرجز في الشعاب والأودية ورؤوس الجبال"،[3] فتفرقهم في الجبال جماعات صغيرة يحد من انتشار المرض بينهم، ويمنع انتقال العدوى للمناطق الأخرى. ونقل القاضي عياض –في شرحه لصحيح مسلم– أن مسروق بن الأجدع (ت 63هـ) والأسود بن هلال (ت 84هـ) –وهما من أئمة التابعين– كانا يريان جواز الفرار من الطاعون[4], وأقول ما قام به عمرو بن العاص رضي الله عنه حقيقة هو ليس فرارا بل الأخذبالأسباب إحترازا وعزلا وحجرا صحيا في نفس منطقة الطاعون فأين الفرار؟ بل هويشبه كالحجر الصحي والعزل الطبي وأخذ الحيطة ولبس الكمامات والقفذات الان كما في زمننا زمن وباء الكرونا الحالي أو مايسمى بالكوفيد 19, والله اعلم.

---

[1] أخرجه البخاري برقم 5688 ,وأخرجه مسلم برقم 2215 ومسند أحمد برقم 7287

[2] بذل الماعون في فضل الطاعون ص 276

[3] تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الثانية دار المعارف بمصر 1387هـ تحقيق محمد أبو الفضل (61/4)

[4] بذل الماعون في فضل الطاعون ص 277

الفصل التاسع: عقيدة المسلم في العدوى و الأمراض المعدية

العدوى لغة: هي إنتقال الداء من المريض به إلى الصحيح بوساطة ما [1]

العدوى طبيا:هي إصابة وتكاثر الجراثيم في أنسجة الجسم الحي وهذا تعريف لمعهد الصحة الامريكي[2],(NIH. www.nih.gov.)

ووجود العدوى حقيقة ولكن إلزامها المرض للمخالط غير ملزم دوما وهذه حقيقة علمية حسب الطب الحديث , أما ما وقع من السلف من خلاف في وقوع العدوى أو عدمه، فمرده إلى إختلاف في الجمع والتوفيق بين الأدلة والأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في توقي المرض والمرضى، وحملهم حديث "لا عدوى" على ظاهره، مع ورود أحاديث أخرى واضحة الدلالة على العدوى مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (وفر من المجزوم كما تفر من الأسد) أو كما قال صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري في كتاب الطب[3] , وقد كان سلفَهم في هذا الفهم أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 157هـ)؛ حسب تتبع ابن حجر له في 'بذل الماعون'. لكن أننا لا يمكن أن نرد هذا الخلاف إلى الجمود والظاهرية بدون الإشارة إلى تواضع حجم المعلومات الطبية الصحيحة في تلك الزمان وشحها , وبل ولازل في زماننا هذا مما نشاهد من تخبط في التعريف والعلاج لجائحة كوفيد 19بين ألأطباء ,برغم التطور الطبي الهائل ولكن عاجز من معالجة الكوفيد19 فسبحان الله حتى نعرف عجزنا نحن البشر ولا نتكبر, ونتوب ونعود إلى الله تعالى .

و لتوضيح ما وقعوا فيه من إشكال نعرض رأي ابن حجر رحمه الله تعالى في العدوى باعتباره أحد الأعلام في الفقه و الحديث الذين نفوا وقوع العدوى أصلا. وبفهمنا المتواضع لخلفيّات قوله يتضح لنا ما

---

[1] قاموس المعجم الوسيط من الموقع الإلكتروني www.islamspirit.com

[2] من موقع المعهد الصحي القومي الأمريكي (www.nih.gov) NIH

[3] أخرجه البخاري في كتاب الطب. حديث: (5707)، وشرحه في فتح الباري 10\158

قررناه من إعادة الخلاف إلى تواضع وشح المعلومات الطبية المتوفرة لديهم في زمانهم. فابن حجر رحمه الله تعالى يورد –في 'بذل الماعون'– نصَّ تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى (ت 771هـ) في إثبات العدوى، وهو "قوله (السبكي) في ذلك: (إن شهد طبيبان عارفان مسلمان عدلان أن ذلك –يعني مخالطة الصحيح للمريض– سبب في أذى المخالط؛ فالامتناع عن المخالطة جائز أو أبلغ من ذلك")[1] اي أنه يثبت أن المخلطة سبب العدوى فالمرض ولذلك وجب منع المخالطة لمنع العدوى والمرض كما يظهر من النص.

ثم يبادر ابن حجر رحمه الله تعالى ردًا عليه بقوله: "لا تُقبل شهادة من يشهد بذلك لأنّ الحس يكذبه، فهذه الطواعين قد تكرر وجودها في الديار المصرية والشامية، وقلّ أن يخلوَ بيت منها، ويوجد من أصيب به من يقوم عليه من أهله وخاصته_ أي بتمريضه وخدمته_، ومخالطتهم له أشد من مخالطة الأجانب قطعًا، والكثير منهم –بل الأكثر– سالم من ذلك؛ فمن شهد بأن ذلك سبب في أذى المخالط فهو مكابر"[2]. أي أن ابن حجر رحمه الله تعالى ينكر ويخالف الرأي القائل بوقوع العدوى من المريض للصحيح لزوما كما هو ظاهر من قوله.

فابن حجر رحمه الله تعالى يستدل بتكذيب الحس لانتقال الطاعون بالعادة كما يقول السبكي رحمه الله ، لأن معنى انتقالها بالعادة ألا يقع انخرامٌ لهذه العادة، فكل من قارب مريضًا بمرض معدٍ لزم أن ينتقل إليه المرض. وقد كانت تجربة ابن حجر الشخصية أكبر شاهد على عدم اطّراد هذا القانون؛ فقد توفيت ابنتاه عالية وفاطمة في طاعون وقع بمصر عام 819هـ، وفقد ابنته الكبرى خاتون في طاعون عام 833هـ ومع قيامه عليهن وتمريضهن ومخالطته لهن لم يصبه الطاعون حين ذاك، فثبت عنده بالتجربة انتفاء العدوى. والذي لم يلحظه ابن حجر رحمه الله تعالى لشح المعلومات الطبيّة في أيامه, هو أن انتقال العدوى لا يتعلق بمخالطة المريض فحسب، وإنما أيضا بشيء لم يعرفه القدماء إذ ذاك ألا وهوما يعرف الان بدرجة

---

[1] بذل الماعون لابن حجر ص 27

[2] نفس المصدر والصفحة

مناعة الشخص الصحيح المخالط للمريض، وكذلك نوعية المرض المعدي وكيفية انتقاله و فوق ذلك كله مشيئة الله عزوجل كما نعلم جميعا.

وربما كان تقدم الوضع الطبي في الأندلس معينًا أكثر على حسم المسألة عند فقهائها؛ فهذا لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ) يشن الغارة على منكري العدوى في رسالته المسماة ‘مقنعة السائل عن المرض الهائل’، ففيها يقول: "قد ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحس والمشاهدة والأخبار المتواترة، وهذه مواد البرهان. ووقوع المرض في الدار والمحلة والثوب والآنية، حتى القرط أتلف من علق بأذنه وأباد البيت بأسره...، وارتكاب اللجاج فيه ألحم في الناس سيف الطاعون، وسلط الله عليهم من بعض المفتين من اعترضهم بالفتيا اعتراض الأزارقة من الخوارج للناس بالسيوف، فسالت على شبا أقلامهم من النفوس والمهَج ما لا يعلمه إلا من كَتَبَ الفناءَ عليهم...؛ وبالجملة فالتصامُمُ عن مثل هذا الاستدلال زعارة وتصافرعلى الله، واسترخاص لنفوس المسملين"[1].

وعلى أية حال؛ فقد كان المسلمون سابقين لغيرهم في تقرير أمر العدوى، فالطبيب الإيطالي جيرولامو فراكاستورو (ت 1553م) الذي يعدّ مؤسسا للمدرسة الغربية القائلة بحدوث العدوى بوصفه أول من قال بذلك أوروبيًا، ألّف كتابه "De Contagione et Contagiosis Morbis" –الصادر بمدينة البندقية عام 1546م– كان بعد ظهور رسالتيْ ابن خاتمة الأنصاري (ت 770هـ) وابن الخطيب عن الطاعون وإثباتهما العدوى قبله بمئتي سنة تقريبا، وبعد فتوى السبكي بنحو قرن؛ حسب ما توصل إليه أحمد العدوي الباحث المصري المعاصر[2], والله أعلم.

وحسما للموضوع فالعدوى تقع وقد لاتقع أي ليست ملزمة لكل من عاشر المريض بمرض معدي و لكن قد تقع اذا اراد الله عزوجل ولذلك أرشدنا نبي الله صلى الله عليه وسلم للحيطة و الحذر وأخذ أسباب الوقاية كما في حديث المجزوم اعلاه , ومبايعته للمجزوم في وفد ثقيف من بعد في الرحال لما قال (أنا قد

---

[1] "تراث الإسلام" أرنولد، توماس ترجمة جرجيس فتح الله، دار الطليعة، بيروت ط 2، 1972، ص 487 – 488

[2] الطاعون في العصر الأموي للكاتب المعاصر أحمد العدوي المصري ط 2018 م ص 31

بايعناك فارجع..)[1] والحديث رواه مسلم والنسائي وأحمد و ابن ابي شيبة والبيهقي والطبراني وغيره فالوقاية مطلوبة من الأمراض المعدية بأخذ الحيطة والحذر ولبس الوقيات والكمامات والقفذات وما يلزم حسب درجة العدوى ونوعية المرض ولكن مع إعتقاد أن العدوى لا تقع أو ليست ملزمة الوقوع أو المرض دائما الا اذا أراد الله عزوجل هذا هو الجمع بين الأحاديث والفهم الصحيح للعدوى في الإسلام, والله أعلم.

والآن نعرض بعض من آراء العلماء المعاصرون الذين شرحوا العدوى فمثلا شرح الشيخ ابن عثيمين لمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا عدوى) من كتاب التوحيد 2\80.[2]

لكن قبل الشرح هذا الحديث مروي بألفاظ ، منها : ما رواه البخاري برقم 5315 ومسلم برقم 4124 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ قَالُوا وَمَا الْفَأْلُ قَالَ كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ"[3].

وما رواه البخاري برقم 5316 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ , وفر من المجزوم فرارك من الأسد "[4].

والان نأتي لشرح الشيخ,قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (قوله صلى الله عليه وسلم:(لا عدوى) . لا نافية للجنس ، ونفي الجنس أعم من نفي الواحد والاثنين والثلاثة ؛ لأنه نفي للجنس كله ، فنفي الرسول صلى الله عليه وسلم العدوى كلها.

والعدوى : انتقال المرض من المريض إلى الصحيح ، وكما يكون في الأمراض الحسية يكون أيضا في الأمراض المعنوية الخلقية ، ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن جليس السوء كنافخ الكير؛ إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه رائحة كريهة.

---

[1] اخرجه مسلم برقم 2231

[2] القول المفيد على كتاب التوحيدلابن عثيمين ط1 تحقيق سليمان أبوالخيل دار العاصمة 1415 هـ 2\80

[3] متفق عليه رواه البخاري برقم 5315 ومسلم برقم 4124

[4] أخرجه البخاري برقم 5316 و رواه مسلم برقم 2223

فقوله : (لا عدوى) يشمل الحسية والمعنوية ، وإن كانت في الحسية أظهر .

قوله : (ولا طيرة) الطيرة هي التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم .

قوله : (ولا هامة) . الهامة ؛ بتخفيف الميم فسرت بتفسيرين كما هو في شرح النووي لصحيح مسلم,[1] (التفسيرالأول : أنها طير معروف يشبه البومة ، أو هي البومة ، تزعم العرب أنه إذا قتل القتيل ؛ صارت عظامُهُ هامة تطير وتصرخ حتى يؤخذ بثأره ، وربما اعتقد بعضهم أنها روحه, وهذا لا شك كلام باطل .

التفسير الثاني : أن بعض العرب يقولون : الهامة هي الطير المعروف ، لكنهم يتشاءمون بها ، فإذا وقعت على بيت أحدهم ونعقت ؛ قالوا : إنها تنعق به ليموت ، ويعتقدون أن هذا دليل قرب أجله)[2]، وهذا كله بلا شك عقيدة باطلة .

قوله : (ولا صفر) . قيل : إنه شهر صفر ، كانت العرب يتشاءمون به ولاسيما في النكاح .

وقيل : إنه داء في البطن يصيب الإبل وينتقل من بعير إلى آخر ، وعلى هذا ؛ فيكون عطفه على العدوى من باب عطف الخاص على العام .

... والأقرب أن صفر يعني الشهر ، وأن المراد نفي كونه مشؤوما ؛ أي: لا شؤم فيه ، وهو كغيره من الأزمان يقدر فيه الخير ويقدر فيه الشر .

وهذا النفي في هذه الأمور الأربعة ليس نفيا للوجود ؛ لأنها موجودة ، ولكنه نفي للتأثير ؛ فالمؤثر هو الله ، فما كان منها سببا معلوما ؛ فهو سبب صحيح ، وما كان منها سببا موهوما ؛ فهو سبب باطل ، ويكون نفيا لتأثيره بنفسه إن كان صحيحا ، ولكونه سببا إن كان باطلا .

---

[1] هذا شرح ونقل الشيخ العثيمين رحمه الله من شرح النووي رحمهما الله تعالى

[2] شرح النووي لمسلم ج14\ص 377

فقوله : (لا عدوى) : العدوى موجودة ، ويدل لوجودها قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يورد ممرض على مصح "[1] أي : لا يورد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإبل الصحيحة ؛ لئلا تنتقل العدوى .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " فر من المجذوم فرارك من الأسد "[2] والجذام مرض خبيث معد بسرعة ويتلف صاحبه ؛ حتى قيل : إنه الطاعون ؛ فالأمر بالفرار من المجذوم لكي لا تقع العدوى منه إليك ، وفيه إثبات لتأثير العدوى ، لكن تأثيرها ليس أمرا حتميا ، بحيث تكون علة فاعلة ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالفرار ، وأن لا يورد ممرض على مصح من باب تجنب الأسباب لا من باب تأثير الأسباب نفسها ؛ فالأسباب لا تؤثر بنفسها ، لكن ينبغي لنا أن نتجنب الأسباب التي تكون سببا للبلاء ؛ لقوله تعالى : (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[3] البقرة/195 ، ولا يمكن أن يقال : إن الرسول صلى الله عليه وسلم ينكر تأثير العدوى ؛ لأن هذا أمر يبطله الواقع والأحاديث الأخرى .

فإن قيل : إن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قال : " لا عدوى . قال رجل : يا رسول الله ! الإبل تكون صحيحة مثل الظباء ، فيدخلها الجمل الأجرب فتجرب ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فمن أعدى الأول ؟[4] " البخاري ,يعني أن المرض نزل على الأول بدون عدوى ، بل نزل من عند الله عز وجل ؛ فكذلك إذا انتقل بالعدوى ؛ فقد انتقل بأمر الله ، والشيء قد يكون له سبب معلوم وقد لا يكون له سبب معلوم ، فَجَرَبُ الأول ليس سببه معلوما ؛ إلا أنه بتقدير الله تعالى ، وجرب الذي بعده له سبب معلوم ، لكن لو شاء الله تعالى لم يجرب ، ولهذا أحيانا تصاب الإبل بالجرب ، ثم يرتفع ولا تموت ،

---

[1] أخرجه بخاري برقم 5771 و مسلم 2221

[2] أخرجه البخاري برقم 5707

[3] سورة البقرة الآية 195

[4] أخرجه البخاري برقم 5320

وكذلك الطاعون والكوليرا أمراض معدية ، وقد تدخل البيت فتصيب البعض فيموتون ويسلم آخرون ولا يصابون .

فعلى الإنسان أن يعتمد على الله ، ويتوكل عليه ، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل مجذوم ، فأخذ بيده وقال له : "كل "[1] يعني من الطعام الذي كان يأكل منه الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لقوة توكله صلى الله عليه وسلم ؛ فهذا التوكل مقاوم لهذا السبب المعدي .

و قال الشيخ : (وهذا الجمع الذي أشرنا إليه هو أحسن ما قيل في الجمع بين الأحاديث)[2] انتهى من شرح كتاب التوحيد 80/2

وعلى هذا الشرح السابق للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم : (لا عدوى) أي أن المرض لا ينتقل من المريض إلى الصحيح بنفسه ، وإنما ينتقل بتقدير الله تعالى ، فمخالطة المريض للصحيح سبب من أسباب انتقال المرض ، ولكن ليس معنى ذلك أنه واقع لا محالة ، بل لا يقع إلا إذا شاء الله ، ولهذا نجد كثيرا من المرضى يخالطون الأصحاء ولا ينتقل إليهم المرض .

والله أعلم .

---

1 أخرجه ابن حبان برقم 6120 وهو حديث ضعيف

2 القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ط1 تحقيق سليمان أبوالخيل دار العاصمة 1415 هـ 2\80

هل تتعارض أحاديث العدوى ؟

ما الشبهة:

يدعي بعض المتوهمين أن أحاديث العدوى متعارضة، فتارة يخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه لا عدوى، إذ يقول –صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» [1]كما أنه صلى الله عليه وسلم– أكل مع مجذوم، وقال له: «كل ثقة بالله تبارك وتعالى وتوكلا عليه»[2].

فهذه الأخبار تثبت أنه لا عدوى، ثم يعارض النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا كله بقوله صلى الله عليه وسلم:«فر من المجذوم كما تفر من الأسد»[3]،وحديث :«لا يورد ممرض على مصح»[4].

وجوه إبطال الشبهة:

1) أولا أنه لا تعارض بين الأحاديث؛ لأن المراد من حديث «لا عدوى ولا طيرة» وما في معناه، نفي ما كانت الجاهلية تعتقده بأن العاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله –عز وجل– وقدره، فأراد النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يعلمهم أن العدوى تكون بقدر الله، لذلك قال في آخر الحديث: «فمن أعدى الأول»، وأما الأمر بالفرار من المجذوم وما في معناه فمن باب سد الذرائع لئلا يتفق للشخص الذي يخالطه شيء من ذلك فيعتقد صحة العدوى فيقع في الحرج، فأمر بتجنبه حسما للوقوع في المحذور.

2) لقد أثبتت الحقائق العلمية الحديثة أن ميكروب الجذام ضعيف جدا، وهو يقتل على الفور في الوسط الحامضي في المعدة، لذلك لا تنتقل العدوى عن طريق تناول الطعام مع مجذوم، وإنما تنتقل بالملامسة الدائمة، وهذا إعجاز علمي نبوي حيث رفض الملامسة من البيعة بينما أكل مع المجذوم على فرض صحته.

---

[1] أخرجه البخاري برقم 5316

[2] أخرجه ابن حبان برقم 6120 وهو حديث ضعيف

[3] أخرجه البخاري برقم 5707

[4] أخرجه مسلم برقم 2221

والان التفصيل في المسئلة :

أولا. لا تعارض بين أحاديث العدوى، وكل شيء بقدر الله وحكمته:

ذهب جمهور العلماء إلى الجمع بين هذه الأحاديث، يقول الإمام النووي: وطريق الجمع أن حديث «لا عدوى ولا طيرة...»[1] المراد به نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده أن المرض والعاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله تعالى.

وأما حديث: «لا يورد الممرض على المصح»[2] فأرشد فيه إلى مجانبة ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره، فنفى في الحديث الأول العدوى بطبعها، ولم ينف حصول الضرر عند ذلك بقدر الله –سبحانه وتعالى– وفعله، وأرشد في الثاني إلى الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل الله وإرادته وقدرته، فهذا الذي ذكرناه من تصحيح الأحاديث، والجمع بينها، هو الصواب الذي عليه جمهور العلماء[3]. ثم يزيد الإمام النووي الأمر وضوحا إذ يقول: قوله: «كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم: إنا قد بايعناك فارجع»[4]، هذا موافق للحديث الآخر في صحيح البخاري: «وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»[5] وأنه غير مخالف لحديث: «ولا يورد ممرض على مصح».وقال القاضي: قد اختلفت الآثار عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في قصة المجذوم، فثبت عنه الحديثان المذكوران، وعن جابر«أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أخذ بيد مجذوم فوضعها معه في القصعة وقال: كل ثقة بالله وتوكلا عليه»[6].

---

1 صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: السلام، باب: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، (8/ 3352)، رقم (5687).

2 صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: السلام، باب: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، (8/ 3352)، رقم (5684).

3 شرح صحيح مسلم، النووي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط2، 1422هـ/ 2001م، (8/ 3353).

4 صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: السلام، باب: اجتناب المجذوم ونحوه، (8/ 3364)، رقم (5714).

5 صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الطب، باب: الجذام، (10/ 167)، رقم (5707).

6 أخرجه أبو داود في سننه (بشرح عون المعبود)، كتاب: الكهانة والتطير، باب: في الطيرة، (10/ 300)، رقم (3918). وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (3925).

وعن عائشة قالت: «كان لي مولى مجذوم، فكان ينام على فراشي و يأكل في صحافي»[1].

والصحيح الذي قاله الأكثرون، ويتعين المصير إله أنه لا نسخ، بل الجمع بين الحديثين، وحمل الأمر باجتنابه، والفرار منه على الاستحباب والاحتياط لا الوجوب. وأما الأكل معه ففعله لبيان الجواز[2].

وحديث جابر ضعيف كما حكم بذلك الألباني في السلسلة الضعيفة[3].

يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله في الفتح : قالوا: وأما حديث جابر أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أخذ بيد مجذوم فوضعها في القصعة وقال: "كل ثقة بالله وتوكلا عليه" ففيه نظر، وقد أخرجه الترمذي وبين الاختلاف فيه على راويه ورجح وقفه على عمر، وعلى تقدير ثبوته فليس فيه أنه –صلى الله عليه وسلم– أكل معه، وإنما فيه أنه وضع يده في القصعة، قال الكلاباذي في "معاني الأخبار": والجواب أن طريق الجمع أولى، وفي طريق الجمع مسالك أخرى:

أحدها: نفي العدوى جملة، وحمل الأمر بالفرار من المجذوم على رعاية خاطر المجذوم، لأنه إذا رأى الصحيح البدن، السليم من الآفة تعظم مصيبته وتزداد حسرته، ونحوه حديث«لا تديموا النظر إلى المجذومين»[4] فإنه محمول على هذا المعنى.

ثانيها: حمل الخطاب بالنفي والإثبات على حالتين مختلفتين، فحيث جاء "لا عدوى" كان المخاطب بذلك من قوي يقينه، وصحح توكله، بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى، كما

---

[1] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب: الأطعمة، باب: الأكل مع المجذوم، (5/ 568)، رقم (30/ 9).

[2] شرح صحيح مسلم، النووي، تحقيق: عادل عبد الموجود، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط2، 1422هـ (8/ 3364).

[3] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط2، 1420هـ (3/ 281).

[4] أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الطب، باب: الجذام،(2/ 1172)، رقم (3543).

وقال عنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم (1064): حديث حسن صحيح

يســـتطيع أن يدفع التطير الذي يقع في نفس كل أحد، لكن القوي اليقين لا يتأثر به، وهذا مثل ما تدفع قوة الطبيعة العلة فتبطلها، وعلى هذا يحمل حديث جابر في أكل المجذوم من القصـعة وسـائر ما ورد من جنســه، وحيث جاء«فر من المجذوم» كان المخاطب بذلك من ضـعف يقينه، ولم يتمكن من تمام التوكل فلا يكون له قوة على دفع اعتقاد العدوى، فأريد بذلك ســـد باب اعتقاد العدوى عنه بأن لا يباشر ما يكون سببا لإثباته[1]

المسلك الثالث: أن الأمر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء، بل هو لأمر طبيعي وهو انتقال الداء من جسـد لجسد بواسـطة الملامسـة والمخالطة وشـم الرائحة، ولذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة انتقال الداء من المريض إلى الصـــحيح بكثرة المخالطة، وهذه طريقة ابن قتيبة قال: المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته ومحادثته ومضاجعته، وكذا يقع كثيرا بالمرأة من الرجل وعكســـه، وينزع الولد إليه، ولهذا يأمر الأطباء بترك مخالطة المجذوم لا عن طريق العدوى بل عن طريق التأثر بالرائحة لأنها تسـقم من واظب اشـتمامها، قال: ومن ذلك قوله –صـلى الله عليه وسـلم-: «لا يورد ممرض على مصـــح»[2] لأن الجرب الرطب قد يكون بالبعير، فإذا خالط الإبل أو حكها وأوى إلى مباركها وصـل إليها بالماء الذي يسيل منه، وكذا بالنظر نحو ما به..، وأما قوله: «لا عدوى»[3]فله معنى آخر، وهو أن يقع المرض بمكان كالطاعون فيفر منه مخافة أن يصـــيبه، لأن فيه نوعا من الفرار من قدر الله.

المســـلك الرابع: أن المراد بنفي العدوى –كما ذكرنا آنفا – أن شـــيئا لا يعدي بطبعه، نفيا لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضـافة إلى الله، فأبطل النبي –صـلى الله عليه وســلم- اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله هو الذي يمرض ويشــفي، ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأســباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضـــي إلى مســـبباتها، ففي نهيه إثبات الأسباب، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئا، وإن شـاء أبقاها فأثرت، ويحتمل أيضـا أن يكون أكله –صـلى الله عليه وسـلم- مع المجذوم أنه كان به أمر

فتح الباري ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، (10/ 169).2

[2] تقدم تخريجه

[3] تقدم تخريجه

يسـير لا يعدي مثله في العادة؛ إذ ليس الجذمى كلهم سـواء، ولا تحصـل العدوى من جميعهم، بل لا يحصل منه في العادة عدوى أصلا كالذي أصابه شيء من ذلك ووقف فلم يعد بقية جسمه فلا يعدي، وعلى الاحتمال الأول جرى أكثر الشافعية.

قال البيهقي: وأما ما ثبت عن النبي -صـلى الله عليه وسـلم- أنه قال:«لا عدوى» فهو على الوجه الذي كان يعتقدونه في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى. وقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح ومن به شيء من هذه العيوب سببا لحدوث ذلك، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «فر من المجذوم فرارك من الأسـد»، وقال: «لا يورد ممرض على مصـح»، وقال في الطاعون: «فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه»[1]، وكل ذلك بتقدير الله عز وجل.

المسلك الخامس: العمل بنفي العدوى أصلا ورأسا، وحمل الأمر بالمجانبة على حسم المادة وسد الذريعة لئلا يحدث للمخالط شـيء من ذلك فيظن أنه بسـبب المخالطة فيثبت العدوى التي نفاها الشـارع، وإلى هذا القول ذهب أبو عبيد وتبعه جماعة فقال أبو عبيد: ليس في قوله: "لا يورد ممرض على مصح" إثبات العدوى، بل لأن الصحاح لو مرضت بتقدير الله تعالى ربما وقع في نفس صاحبها أن ذلك من العدوى فيفتتن ويتشكك في ذلك، فأمر باجتنابه[2].

وهذا ما قرره ابن القيم في كتابه "زاد المعاد"، وقد أكد الإمام الألباني تعليقا على حديث«ائته فأعلمه أني قد بايعته فليرجع» قائلا: وفي الحديث إثبات العدوى والاحتراز منها، فلا منافاة بينه وبين حديث «لا عدوى»؛ لأن المراد به نفي ما كانت الجاهلية تعتقده أن العاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله -عز وجل- وقدره، فهذا هو المنفي، ولم ينف حصـول الضـرر عند ذلك بقدر الله ومشـيئته، وهذا ما أثبته الحديث، وأرشد فيه إلى الابتعاد عما قد يحصل الضرر منه بقدر الله وفعله[3].

---

1. [1]صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الأنبياء، باب: رقم (54)، (6/ 592)، رقم (3473).

2 فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1407هـ/ 1987م، (10/ 169: 171) بتصرف.

3 السلسلة الصحيحة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1422هـ/ 2002م، (4/ 614)، رقم (1968).

وبناء على ما سبق فإن حديث: «لا عدوى ولا طيرة» أشار فيه النبي –صلى الله عليه وسلم– بذلك إلى من اتكل على الأسباب، وحديث: «فر من المجذوم» فيه إشارة إلى من اعتمد واتكأ عليها، فهذا ليس فيه نفي للعدوى، إنما فيه إثبات لها بدلالة تتمة الحديث حين قال النبي صلى الله عليه وسلم:«لا عدوى ولا صفر ولا هامة، فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي تكون في الرحل كأنها الظباء فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: فمن أعدى الأول؟[1]؛ أي: أول جمل أجرب على وجه الأرض – من أعداه؟ فيريد أن ينبه بهذا إلى أن الله –عز وجل– هو الذي قدر العدوى وقدر تأثيرها، وأنه لا عدوى تنتقل بذاتها، بدليل أن الجمل الأول الذي أصابه الجرب لم يجرب بسبب عدوى، وإنما قدرة الله عليه، وهكذا ما بعده[2].

ثانيا. إثبات الحقائق العلمية لصحة أقوال النبي –صلى الله عليه وسلم– في العدوى:

إن حديث «أكل النبي –صلى الله عليه وسلم– مع المجذوم» حديث ضعيف، لا يصح –كما تقدم – وعليه فلا تعارض حينئذ، وعلى فرض صحة الحديث فقد بين العلم الحديث أنه لا تعارض بين هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي يظن أن بينها تعارض.

وإذا استعرضنا هذه الحقيقة العلمية وهي أن العدوى بجراثيم الأمراض قد تصيب الجسم بالمرض حينا، وهي نفسها قد لا تقوى على إصابة الجسم بالمرض حينا آخر... وبذلك تصير العدوى وكأنها لا عدوى. وليس السبب في كل ذلك بيد الإنسان، كما أنه لا دخل للجراثيم فيه أيضا؛ لأن كلا من الجراثيم وخطوط الدفاع تعملان بقدر الله تعالى ومشيئته وأمره، فإذا أراد الله أن يجعل العدوى سببا للمرض جعلها، وإذا أراد إبطال مفعول العدوى أبطله، وصدق الله إذ يقول: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (82) (يس)[3].

ومن هنا نفهم المغزى العلمي في قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا عدوى» وفي نفس الحديث: «وفر من المجذوم فرارك من الأسد».[4]

بالإضافة إلى ذلك فقد بينت الأبحاث العلمية الحديثة أن كثيرا من الناس يصابون بالعدوى من

---

[1] صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الطب، باب: لا صفر ، (10/ 180، 181)، رقم (5717). **1**

[2] دروس صوتية، أبو إسحاق الحويني، درس بعنوان: الجمع بين حديث لا عدوى ولا طيرة وفر من المجذوم، (46/ 9). **2**

[3] (سورة يس آية 82)

[4] تقدم تخريجه

جراثيم مرضـــية، مثل: جراثيم مرض التيفود، أو جراثيم مرض الالتهاب الســـحائي الوبائي، ولا تظهر عليهم أي أعراض مرضـــية، مع أنهم حاملين للميكروب، فيصـــير بذلك أغلبهم حاملا للميكروب، ومصدرا لعدوى الغير، وبعض الذين تصيبهم العدوى يمرضون، وأكثرهم لا يمرض.

إذا.. فالعدوى قد تسـبب مرضـا، ونفس العدوى بنفس الجراثيم قد لا تسـبب هذا المرض، ذلك أن هناك الكثير من العوامل التي تجعل العدوى بجراثيم الأمراض كأن لم تكن، ولا دخل في ذلك كله لأسباب تتعلق بالجراثيم أو تتعلق بالجسم، لأن كلا منهما مسخر لأمر أحكم الحاكمين.

ومن هنا يمكننا أن ندرك الإعجاز العلمي في "تجنب النبي –صـلى الله عليه وسـلم– مصـافحة المجذوم" وفي موضع آخر: «أكل مع المجذوم في قصعة واحدة»[1] خاصة إذا علمنا أن العدوى بميكروب الجذام تحدث عن طريق ملامسـة جلد المريض مرات عديدة ولزمن طويل، لذلك لا يظهر المرض إلا في المخالطين للمريض وبنسبة (1%) فقط.

ومن ناحية أخرى فقد ثبت أن ميكروب الجذام ضـعيف جدا، وهو يقتل على الفور في الوسـط الحامضي في المعدة؛ لذلك لا تنتقل العدوى بالجذام عن طريق تناول الطعام مع مجذوم، وهذا يفسر لنا الإعجاز العلمي النبوي في أكل النبي –صـلى الله عليه وسـلم– مع مجذوم –هذا اذا صـح الحديث ولم يصح كما علمنا ـــ، وتجنب صلى الله عليه وسلم مصافحة مجذوم آخر[2].

وقد ذكر العلماء أن الجذام: علة رديئة تحدث من انتشـار المرة السـوداء في البدن كله، فيفسـد مزاج الأعضاء وهيئتها وشكلها، وربما فسد في آخر اتصالها حتى تتآكل الأعضاء وتسقط، ويسمى داء الأسد[3].

قال الدكتور الأزهري: هذا المرض سمي بداء الأسـد، لأنه يحول وجه المريض بما يجعله يشـبه الأسد، لكثرة وجود أورام صغيرة وتجعدات في الوجه[4].

---

1 تقدم تخريجه

2 موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي، د. أحمد شوقي ,نهضة مصر للنشر، القاهرة، 2003م، (1/ 74، 75).

3 زاد المعاد ، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، (4/ 148).

4 زاد المعاد ، ابن قيم ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1405هـ، هامش (4/ 148).

وقد بينت الأبحاث العلمية الحديثة أنه في أكثر أنواع الجذام شيوعا تتغير ملامح المريض، فيسقط شعر الحواجب، ويغلظ جلد الوجه، فترتفع الجبهة.

وكان أول وصف لوجه مريض الجذام سنة 1847م، وصفه طبيبان وهما "دانيال وبويك"، وقالا في وصفه: "إن وجه مريض الجذام يشبه وجه الأسد *leonine face*". ولم يوصف وجه مريض الجذام بذلك الوصف العلمي قبل سنة 1847م، إلا أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قد وصفه في الحديث النبوي الشريف قبل أربعة عشر قرنا من الزمان، والعجب هنا يتمثل في اختيار النبي –صلى الله عليه وسلم– للفظ "الأسد"، وكان –صلى الله عليه وسلم– يمكنه أن يقول: فر من المجذوم فرارك من "الأفعى" أو من "الوحش" مثلا، ولكن لفظ الحديث الشريف اختار لفظ "الأسد" ليجمع بين الصورة والمعنى والقصد في كلمة واحدة، وهذا إعجاز علمي وسبق نبوي بين[1] , والحمد لله.

وبهذا يتبين أنه لا تناقض ألبتة بين تلك الأحاديث الشريفة السابقة، وأن الجمع بينها هين ويسير، وأن المسالك التي سلكها أهل العلم للتوفيق بين الأحاديث المثبتة للعدوى، والأخرى النافية لها، كانت مسالك صحيحة وقد أيدتها نتائج الأبحاث العلمية الحديثة، ولهذا فإن أقرب المسالك هو قول أصحاب المسلك الرابع – من الوجه الأول – في التوفيق بين تلك الأحاديث الشريفة[2].

لكي نلخص ما قلنا في العدوى فنقول ليس هناك تعارض أو تناقض بين أحاديث العدوى، لا سيما وأن لكل حديث حالة معينة، وسببا معينا، ومعنى معينا، وأجمع العلماء على الجمع بين الأحاديث، فحديث: "لا عدوى ولا طيرة"[3] المراد نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده، أن المرض والعاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله تعالى.

وأما حديث: «لا يورد الممرض على المصح»[4]فأرشد إلى مجانبة ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره.

---

1 [1]موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي،د.أحمد شوق، نهضة مصر للنشر، القاهرة، ط1، 2003م،(1/ 75) بتصرف.

2 موسوعة الإعجاز العلمي في السنة ، حمدي الصعيدي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، مصر، ط1، 2007م، ص913 بتصرف.

[3] تقدم تخريجه

[4] تقدم تخريجه

لقد ذهب فريق من العلماء إلى أن الأمر باجتناب المجذوم والفرار منه محمول على الاستحباب والاحتياط لا الوجوب، وأما الأكل معه ففعله لبيان الجواز.

لقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث بعدة وجوه منها:

1. نفي العدوى جملة، وحمل الأمر بالفرار من المجذوم على رعاية خاطر المجذوم.
2. حمل الخطاب بالنفي والإثبات على حالتين مختلفتين، فحيث جاء «لا عدوى» كان المخاطب بذلك من قوى يقينه وصــح توكله، وحيث جاء «فر من المجذوم»كان المخاطب بذلك من ضعف يقينه، ولم يتمكن من تمام التوكل.
3. الأمر بالفرار من المجذوم لعدم التأثر بالرائحة أو التعرض للجراثيم ؛ لأنها تســقم من واظب على اشتمامها أو التعرض لها.
4. المراد بنفي العدوى أن شيئا لا يعدي بطبعه من غير إضافة إلى الله، وأكله –صلى الله عليه وسلم– مع المجذوم ليبين لهم أن العدوى لا تنتشر فتضر أو تنفع إلا بإذن الله.
5. العمل بنفي العدوى أصلا ورأسا، وحمل الأمر بالمجانبة على حسم المادة وسد الذريعة لئلا يحدث للخالط شيء من ذلك فيظن أنه بسبب المخالطة فيثبت العدوى التي نفاها الشارع.

ثم إن حديث: «أكل النبي –صلى الله عليه وسلم– مع المجذوم»[1] حديث ضعيف لا يصح ولا يثبت، وعليه فلا تصح المعارضة به.

بينت الأبحاث العلمية الحديثة أن كثيرا من الناس يصابون بالعدوى من جراثيم مرضية. مثل: جراثيم مرض التيفود، ولا تظهر عليهم أي أعراض مرضية، مع أنهم حاملين للميكروب، إذا... فالعدوى قد تسبب مرضا، ونفس العدوى بنفس الجراثيم قد لا تسبب هذا المرض،لوجود مناعة قوية ضد هذه الجراثيم , وكل ذلك بإذن الله وحده سبحانه وتعالى. ثم إن ميكروب الجذام ضعيف جدا، وهو يقتل على الفور في الوسط الحامضي في المعدة؛ لذلك لا تنتقل العدوى بالجذام عن طريق تناول الطعام مع مجذوم، وهذا يفسر لنا فعل النبي –صلى الله عليه وسلم– وأكله مع مجذوم, مع ضعف تلك الرواية كما قال شيخنا الألباني رحمة الله عليه. سمى العلماء مرض الجذام بداء الأسد، لأنه يحول وجه المريض بما يجعله يشبه الأسد، لكثرة وجود أورام صغيرة، وتجعدات في الوجه، وكان أول وصف لوجه

---

[1] تقدم تخريجه

مريض الجذام سنة 1847م، وصفه طبيبان وهما "دانيال وبويك"، وقالا في وصفهما: "إن وجه مريض الجذام يشبه وجه الأسد leonine face"[1]. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «وفر من المجذوم فرارك من الأسد»[2]، واختياره –صلى الله عليه وسلم– لفظ "الأسد" دون غيره ليؤكد أن هذا الحديث إعجاز نبوي، وبه يتأكد أنه لا تعارض ألبتة بين الأحاديث السابقة، وأن الجمع بينها هين ويسير.

الباب الرابع : أحاديث وسنن متعلقة بالطاعون شرحها وتخريجها

الحديث الأول في بحثنا ونصه في صحيح البخاري:

((حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة قال أخبرني حبيب بن أبي ثابت قال سمعت إبراهيم بن سعد قال سمعت أسامة بن زيد يحدث سعدا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها)فقلت أنت سمعته يحدث سعدا ولا ينكره قال نعم.[3]))

---

[1] تقدم تخريج المصدر بصفحتين

[2] آيضا تقدم تخريجه

[3] تخريج الحديث الأول في بحثنا هذا : أخرجه البخاري في كتاب الطب حديث رقم 5728 واللفظ له , وصحيح مسلم في كتاب السلام برقم2218 , كما أخرجه غيره مثل سنن التسائي برقم 7523, و في مسند أحمد برقم 21811 مسند الأنصار رضي الله عنهم.و في المعجم الأوسط للطبراني 2\80 .

شرح ابن حجر رحمه الله تعالى للحديث الأول في بحثنا من الفتح الجزء 10 والصفحة 205

قال ابن حجر في الفتح عند شرح هذا الحديث: { (إذا سمعتم بالطاعون) وذكر الوجع فقال : رجز أو عذاب عذب به بعض الأمم ، ثم بقي منه بقية ، فيذهب المرة ويأتي الأخرى الحديث. (وهو الحديث الثامن في بحثنا هذا وشرحه هناك فانظره), وأخرجه مسلم قاله فيه : " إن هذا الوجع أو السقم وأخرجه البخاري بلفظ الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل ، أو على من كان قبلكم الحديث كذا وقع بالشك ، ووقع بالجزم عند ابن خزيمة من طريق عمرو بن دينار عن عامر بن سعد بلفظ فإنه رجز سلط على طائفة من بني إسرائيل " وأصله عند مسلم ، ووقع الرجس بالسين المهملة موضع الرجز بالزاي ، والذي بالزاي هو المعروف وهو العذاب ، والمشهور في الذي بالسين أنه الخبيث أو النجس أو القذر ، وجزم الفارابي والجوهري بأنه يطلق على العذاب أيضا ، ومنه قوله تعالى (وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) [1], وحكاه الراغب أيضا . والتخصيص على بني إسرائيل أخص ، كما جاء في قصة بلعام ، فأخرج الطبري : أن رجلا كان يقال له بلعام كان مجاب الدعوة ، وأن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام ، فأتاه قومه فقالوا : ادع الله عليهم ، فقال : حتى أؤامر ربي ، فمنع ، فأتوه بهدية فقبلها وسألوه ثانيا فقال حتى أؤامر ربي ، فلم يرجع إليه بشيء ، فقالوا : لو كره لنهاك ، فدعا عليهم فصار يجري على لسانه ما يدعو به على بني إسرائيل فينقلب على قومه ، فلاموه على ذلك فقال : سأدلكم على ما فيه هلاكهم أرسلوا النساء في عسكرهم ومروهن أن لا يمتنعن من أحد ، فعسى أن يزنوا فيهلكوا ، فكان فيمن خرج بنت الملك فأرادها رأس بعض الأسباط وأخبرها بمكانه فمكنته من نفسها ، فوقع في بني إسرائيل الطاعون ، فمات منهم سبعون ألفا في يوم ، وجاء رجل من بني هارون ومعه الرمح فطعنهما وأيده الله فانتظمهما جميعا . فحسب من هلك من الطاعون سبعون ألفا ، والمقلل يقول عشرون ألفا . وهذه الطريق تعضد الأولى . وقد أشار إليها عياض فقال : قوله : أرسل على بني إسرائيل قيل : مات منهم في ساعة واحدة عشرون ألفا وقيل : سبعون ألفا .

---

[1] سورة يونس الآية 100

وذكر ابن إسحاق في " المبتدأ "سببا آخرللطاعون في اليهود وهو أن الله أوحى إلى داود أن بني إسرائيل كثر عصيانهم ، فخيرهم بين ثلاث : إما أن أبتليهم بالقحط ، أو العدو شهرين ، أو الطاعون ثلاثة أيام . فأخبرهم ، فقالوا : اختر لنا . فاختار الطاعون . فمات منهم إلى أن زالت الشمس سبعون ألفا وقيل مائة ألف . فتضرع داود إلى الله – تعالى – ، فرفعه .

وورد وقوع الطاعون في غير بني إسرائيل ، فيحتمل أن يكون هو المراد بقوله : من كان قبلكم فمن ذلك ما أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير قال : " أمر موسى بني إسرائيل أن يذبح كل رجل منهم كبشا ، ثم ليخضب كفه في دمه ، ثم ليضرب به على بابه . ففعلوا . فسألهم القبط عن ذلك فقالوا : إن الله سيبعث عليكم عذابا وإنما ننجو منه بهذه العلامة . فأصبحوا وقد مات من قوم فرعون سبعون ألفا ، فقال فرعون عند ذلك لموسى (لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)[1] الآية ، فدعا فكشفه عنهم .

وأخرج عبد الرزاق في تفسيره والطبري من طريق الحسن في قوله تعالى ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ))[2] قال : فروا من الطاعون فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ليكملوا بقية آجالهم. فأقدم من وقفنا عليه في المنقول ممن وقع الطاعون به من بني إسرائيل في قصة بلعام وداود ، ومن غيرهم في قصة فرعون ، وتكرر بعد ذلك لغيرهم والله أعلم}[3]انتهى النقل من الفتح مع تصرف بسيط.

شرح الفقير(وهو أنا) ومايؤخذ من الحديث الأول في بحثنا حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه:

قلت يرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم الى كيفية التعامل مع وصول خبر الطاعون وكيفية التعامل معه اولا التأكد من وقوعه بالسماع او طريقة أخرى وذكر هنا السماع لأنها الغالبة, و يتاكد من وقوعه اهل الحل والعقد كالولاء والأمراء والحكام مع استعانة باهل الإختصاص كالأطباء لأنه يترتب عليه واجبات

---

[1] الأعراف الآية 134

[2] سورة البقرة 243

[3] الفتح لإبن حجرتحقيق إبن باز ط دارالحديث القاهرة 1424هـ ج 10ص 205 مع تصرف بسيط

وحقوق وأحكام وقوانين لا يقوم بأدائه وتنفيذها الا اهل السلطةو الدولة , والطاعون له مئات التعاريف والذي يغلب على أذاهننا في هذا العصر هو كل مرض معدي غالبا مميت وينتشر بسرعة فائقة كالجائحة وفي بقعة جغرافية واسعة ويصيب البشر باعداد هائلة فوق المعتاد ويحدث ازمة في كل نواحي الحياة مثل الصحة و الاقتصاد والسياسة وغيرها كثير[1], وان شئت قل وقوع الطاعون كوقوع كارثة.فيرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم كيف نتعامل مع هذه الكارثة سواء انت واقع فيها او خارجها وهو كالتلي اولا ان وقع الطاعون في بلد وأنت لست فيها فلا تتهور وتدخل هذا البلد المطعون ابق بعيد عنه , ثانيا اذا وقع في بلدك فأنت واقع فيه فعليك ان لا تخرج من بلدك و عليك ان تصبر ولا تسخط وان تؤمن بقضاء الله وقدره عزوجل ولك جوائز قيمة وهي سواء ان مت او لم تمت تاخذ أجر الشهيد وتنال رحمةالله عزوجل وتدخل في دعوة نبيك صلى الله عليه وسلم , وكيف ذلك ؟ وما الدليل على ذلك ؟وإليك الأدلة وبالترتيب أولا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح بل المتفق عليه (الطاعون شهادة لكل مسلم)متفق عليه[2], ثانيا (عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها أخبرتنا أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فأخبرها نبي الله صلى الله عليه وسلم (أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين.......) رواه البخاري [3], ثالثا هناك أثر ثالث أختلف في صحته المحدثون وهو (اللهم اجعَلْ فَناءَ أُمَّتي قتلًا في سبيلِكَ بالطعنِ والطاعونِ)[4] رواه البوصيري و خلاصة حكمه هناك قال:سنده صحيح,ولتوضيح هذه الدعوة النبوية المختارة في الطاعون إن صحت هي أنها في مقابل إختيارات ربانية أخرى أسوأ من الطاعون فهذا كان الأختيار الأفضل بين الجميع إختاره النبي صلى الله عليه وسلم رحمة بأمته لمن أمعن النظر في ألإختيارات الأخرى وهي كتسلط الكفار وقتليهم للمسلمين والله اعلم.

---

[1] الموسوعة البريطانية كما تقدم في المصطلحات سابقا

[2] متفق عليه أخرجه البخاري برقم 2830 ومسلم برقم 1916

[3] أخرجه البخاري برقم 5734

[4] إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري 2\424

فهذا الحديث الأول حديث أسامة رضي الله عنه في بحثنا هذا يرشدنا الى القاعدة الأولى في التعامل مع الأوبئة وهي ما يعرف الان بالحجر الصحي والعزل الطبي والهدف هو تقليل من انتقال المرض المعدي والعدوى بين البشر بالتعبير الطبي الحديث وذلك بعدم الدخول الى محيط الطاعون اذا كنت خارجا منه وبعدم الخروج من البلد الذي وقع فيه الوباء , وأول من طبق هذه القاعدة هو خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث وقع إجتهاده طبقا للشرع ورجع عن دخول الشام في طاعون عمواس في السنة الثامن عشرة هجرية كما في المغازي والسير, فالحديث إعجاز علمي في التعامل مع الأوبئة والطواعين,وصدق الله عزوجل حيث قال(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى 0 إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى)[1].

وهنا إشكال وارد على هذا الحديث وهو هل النهي عن الدخول أو الخروج إلى البلد المطعون نهي تحريم أم تنزيه أم ماذا ؟ هل هو الفرار المنهي عنه؟

اختلف العلماء ولكن الجمهور على التحريم لظاهر الأحاديث وكثرتها التي تذم الفرار وتشبهه بالفرار من الزحف ولاشك أن الأخير أي الفرارمن الزحف كبيرة من الكبائر وكذلك الفرار من الطاعون , و قد يكون الدخول أو الخروج لبقعة الطاعون لمصلحة أو عذر وهنا يختلف الحكم وقد فصل ووضح ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى هذا الموضوع في كتابه الممتع بذل الماعون في فضل الطاعون,والمسئلة خلافية لأن هناك من اجاز الفرار من الصحابة كأبي موسى الأشعري رضي الله عنه والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما ومسروق رحمة الله عليه من التابعيين[2],ولذلك ليس كل خروج ودخول محرم إذا كان لعذر أومصلحة والدليل فعل وأمر بعض الصحابة والتابعين له , وقد يكون إنتقال داخل البلد المطون نفسه من نقطة إلى أخرى كما فعل عمروبن العاص رضي الله عنه حين نقل الناس أوشتتهم في الجبال وبذلك قلل العدوى والإنتشار للطاعون فكانت خطة إحتوائية للطاعون وأقره الخليفة عمر رضي الله عنه ولم يلمه

---

[1] سورة النجم الآية 3 و 4

[2] بذل الماعون لإبن حجر الصفحة 274

, وقد تكون الإنتقالات داخل المنطقة المطعونة إستراتيجية و إحتوائية للطاعون ولكن يحسبها الآخرين خروجا وهو وهم , والله اعلم.

الحديث الثاني في بحثنا ونصه في صحيح البخاري :

((حدثناعبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشأم حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشأم, قال ابن عباس فقال عمر ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشأم فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء, فقال ارتفعوا عني ,ثم قال ادعوا لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال ارتفعوا عني, ثم قال ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء, فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه, قال أبو عبيدة بن الجراح أفرارا من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله, أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ,قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته فقال إن عندي في هذا علما ,سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه) قال فحمد الله عمر ثم انصرف [1])).

---

[1] تجريج الحديث الثاني في بحثنا هذا : صحيح البخاري في كتاب الطب برقم 5729 , صحيح مسلم كتاب السلام برقم 2219 ,وفي مسند أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة 1681, وفي الموطا في كتاب الجامع في باب ما جاء في الطاعون برقم 1601, وفي صحيح ابن حبان برقم 2953 وغيره.

شرح ابن حجر رحمه الله للحديث الثاني في بحثنا من الفتح الجزء 10 والصفحة 208

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح :{ كان في ربيع الآخر سنة ثماني عشرة ، وأن الطاعون كان وقع أولا في المحرم وفي صفر ثم ارتفع ، فكتبوا إلى عمر فخرج حتى إذا كان قريبا من الشام بلغه أنه أشد ما كان ، فذكر القصة. وذكر خليفة بن خياط أن خروج عمر إلى سرغ كان في سنة سبع عشرة ، فالله أعلم .

وهذا الطاعون الذي وقع بالشام حينئذ هو الذي يسمى طاعون عمواس قيل : سمي بذلك لأنه عم وواسى .

قوله : (حتى إذا كان بسرغ) وهي واليرموك والجابية, وقال ابن عبد البر : قيل : إنه واد بتبوك ، وقيل : بقرب تبوك ، وقال الحازمي : هي أول الحجاز ، وهي من منازل حاج الشام ، وقيل : بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة .

قوله : (لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه) هم خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص .

قوله : (فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام) في رواية يونس " الوجع " بدل " الوباء " وفي رواية بالطاعون " ولا مخالفة بينها ، فإن كل طاعون وباء ووجع من غير عكس , قوله : (من مهاجرة الفتح) أي الذين هاجروا إلى المدينة عام الفتح ،بعد الفتح.

قوله : (بقية الناس) أي الصحابة ، والمراد بالصحابة الذين لازموه وقاتلوا معه .

قوله : (فنادى عمر في الناس : إني مصبح على ظهر ، فأصبحوا عليه) زاد يونس في روايته " فإني ماض لما أرى ، فانظروا ما آمركم به فامضوا له ، قال فأصبح على ظهر " .

قوله : (فقال أبو عبيدة) وهو إذ ذاك أمير الشام (أفرارا من قدر الله) ؟ أي أترجع فرارا من قدر الله ؟ وفي رواية هشام بن سعد " وقالت طائفة منهم أبو عبيدة : أمن الموت نفر ؟ إنما نحن بقدر ، لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا " .

قوله : (فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة) أي لعاقبته ، أو لأدبته ، والمعنى أن غيرك ممن لا فهم له إذا قال ذلك يعذر . وقد بين سبب ذلك بقوله وكان عمر يكره خلافه ، أي مخالفته . قوله : (نعم ، نفر من قدر الله إلى قدر الله) في رواية هشام بن سعد " إن تقدمنا فبقدر الله ، وإن تأخرنا فبقدر الله "

وأطلق عليه فرارا لشبهه به في الصورة وإن كان ليس فرارا شرعيا . والمراد أن هجوم المرء على ما يهلكه منهي عنه . ولو فعل لكان من قدر الله ، وتجنبه ما يؤذيه مشروع وقد يقدر الله وقوعه فيما فر منه فلو فعله أو تركه لكان من قدر الله ، فهما مقامان : مقام التوكل ، ومقام التمسك بالأسباب كما سيأتي تقريره . ومحصل قول عمر : " نفر من قدر الله إلى قدر الله " أنه أراد أنه لم يفر من قدر الله حقيقة ، وذلك أن الذي فر منه أمر خاف على نفسه منه فلم يهجم عليه ، والذي فر إليه أمر لا يخاف على نفسه منه إلا الأمر الذي لا بد من وقوعه سواء كان ظاعنا أو مقيما .

قوله : (له عدوتان) بضم العين المهملة وبكسرها أيضا وسكون الدال المهملة : تثنية عدوة ، وهو المكان المرتفع من الوادي ، وهو شاطئه .

قوله : (إحداهما خصيبة) بوزن عظيمة ، وحكى ابن التين سكون الصاد بغير ياء ، زاد مسلم في رواية معمر " وقال له أيضا : أرأيت لو أنه رعى الجدبة وترك الخصبة أكنت معجزه ؟ وهو بتشديد الجيم قال : نعم . قال : فسر إذا ، فسار حتى أتى المدينة " .

قوله : (فجاء عبد الرحمن بن عوف) هو موصول عن ابن عباس بالسند المذكور .

قوله : (وكان متغيبا في بعض حاجته) أي لم يحضر معهم المشاورة المذكورة لغيبته .

قوله : (إن عندي في هذا علما) في رواية مسلم " لعلما " بزيادة لام التأكيد .

قوله : (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه إلخ) هو موافق للمتن الذي قبله عن أسامة بن زيد وسعد وغيرهما ، فلعلهم لم يكونوا مع عمر في تلك السفرة .

قوله : (فلا تخرجوا فرارا منه) في رواية عبد الله بن عامر التي بعد هذه وفي حديث أسامة عند النسائي فلا تفروا منه وفي رواية لأحمد من طريق ابن سعد عن أبيه مثله ، ووقع في ذكر بني إسرائيل إلا فرارا منه.}[1] وانتهى النقل من الفتح مع تصرف بسيط .

---

[1] الفتح لإبن حجر ج 10 ص 208 ط دار الحديث القاهرة 1424هـ تحقيق إبن باز

الحديث الثالث ونصه في صحيح البخاري:

((حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عبد الله بن عامر أن عمر خرج إلى الشأم فلما كان بسرغ بلغه أن الوباء قد وقع بالشأم فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه))[1]

شرح ابن حجر رحمه الله للحديث الثالث من بحثنا من الفتح الجزء 10 والصفحة 210

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح عند شرح الحديث الثالث والثاني السابق{قوله " إني مصبح على ظهر " فبات على ذلك ولم يشرع في الرجوع حتى جاء عبد الرحمن بن عوف فحدث بالحديث المرفوع فوافق رأي عمر الذي رآه فحضر سالم سبب رجوعه في الحديث لأنه السبب الأقوى ، ولم يرد نفي السبب الأول وهو اجتهاد عمر ، فكأنه يقول : لولا وجود النص لأمكن إذا أصبح أن يتردد في ذلك أو يرجع عن رأيه ، فلما سمع الخبر استمر على عزمه الأول ، ولولا الخبر لما استمر . فالحاصل أن عمر أراد بالرجوع ترك الإلقاء إلى التهلكة ، فهو كمن أراد الدخول إلى دار فرأى بها مثلا حريقا تعذر طفؤه فعدل عن دخولها لئلا يصيبه . فعدل عمر لذلك ، فلما بلغه الخبر جاء موافقا لرأيه فأعجبه ، فلأجل ذلك قال من قال : إنما رجع لأجل الحديث ، لا لما اقتضاه نظره فقط . وقد أخرج الطحاوي بسند صحيح " عن أنس أن عمر أتى الشام فاستقبله أبو طلحة وأبو عبيدة فقالا : يا أمير المؤمنين إن معك وجوه الصحابة وخيارهم ، وإنا تركنا من بعدنا مثل حريق النار ، فارجع العام . فرجع " وهذا في الظاهر يعارض حديث الباب ، فإن فيه الجزم بأن أبا عبيدة أنكر الرجوع ويمكن الجمع بأن أبا عبيدة أشار أولا بالرجوع ثم غلب عليه مقام التوكل لما رأى أكثر المهاجرين والأنصار جنحوا إليه فرجع عن رأي الرجوع ،

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الطب 5730,و مسلم في صحيحه في كتاب السلام برقم 2219 ,وفي مسند أحمد برقم 82476, وفي صحيح ابن حبان برقم 2953 وغيره .

:

وناظر عمر في ذلك ، فاستظهر عليه عمر بالحجة فتبعه ، ثم جاء عبد الرحمن بن عوف بالنص فارتفع الإشكال . وفي هذا الحديث جواز رجوع من أراد دخول بلدة فعلم أن بها الطاعون ، وأن ذلك ليس من الطيرة ، وقد زعم قوم أن النهي عن ذلك إنما هو للتنزيه ، وأنه يجوز الإقدام عليه لمن قوي توكله وصح يقينه ، وتمسكوا بما جاء عن عمر أنه ندم على رجوعه من سرغ كما أخرج ابن أبي شيبة بسند جيد من رواية عروة بن رويم عن القاسم بن محمد عن ابن عمر قال : " جئت عمر حين قدم فوجدته قائلا في خبائه ، فانتظرته في ظل الخباء ، فسمعته يقول حين تضور : اللهم اغفر لي رجوعي من سرغ " وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده أيضا . وأجاب القرطبي في " المفهم " بأنه لا يصح عن عمر ، قال : وكيف يندم على فعل ما أمر به النبي – صلى الله عليه وسلم – ويرجع عنه ويستغفر منه ؟ وأجيب بأن سنده قوي والأخبار القوية لا ترد بمثل هذا مع إمكان الجمع فيحتمل أن يكون كما حكاه البغوي في شرح السنة عن قوم أنهم حملوا النهي على التنزيه ، وأن القدوم عليه جائز لمن غلب عليه التوكل ، والانصراف عنه رخصة ، فأخرج ابن خزيمة بسند صحيح " عن هشام بن عروة عن أبيه أن الزبير بن العوام خرج غازيا نحو مصر ، فكتب إليه أمراء مصر أن الطاعون قد وقع ، فقال : إنما خرجنا للطعن والطاعون ، فدخلها فلقي طعنا في جبهته ثم سلم " وفي الحديث أيضا منع من وقع الطاعون ببلد هو فيها من الخروج منها ، ونقل عياض وغيره جواز الخروج من الأرض التي يقع بها الطاعون عن جماعة من الصحابة ، منهم أبو موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين منهم الأسود بن هلال ومسروق ، ومنهم من قال : النهي فيه للتنزيه فيكره ولا يحرم ، وخالفهم جماعة فقالوا : يحرم الخروج منها لظاهر النهي الثابت في الأحاديث الماضية ، وهذا هو الراجح عند الشافعية وغيرهم ، ويؤيده ثبوت الوعيد على ذلك : فأخرج أحمد وابن خزيمة من حديث عائشة مرفوعا في أثناء حديث بسند حسن قلت يا رسول الله فما الطاعون ؟ قال غدة كغدة الإبل ، المقيم فيها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف . وله شاهد من حديث جابر رفعه الفار من الطاعون كالفار من الزحف ، والصابر فيه كالصابر في الزحف أخرجه أحمد أيضا وابن خزيمة وسنده صالح للمتابعات . لكن أبو موسى حمل النهي على من قصد الفرار محضا . ولا شك أن الصور ثلاث : من خرج لقصد الفرار محضا فهذا يتناوله النهي لا محالة ، ومن خرج لحاجة متمحضة لا لقصد الفرار أصلا ، ويتصور ذلك فيمن تهيأ للرحيل من بلد كان بها إلى بلد إقامته مثلا ولم يكن الطاعون وقع فاتفق وقوعه في أثناء تجهيزه فهذا لم يقصد الفرار أصلا فلا يدخل في

النهي ، والثالث من عرضت له حاجة فأراد الخروج إليها وانضم إلى ذلك أنه قصد الراحة من الإقامة بالبلد التي وقع بها الطاعون فهذا محل النزاع ، ومن جملة هذه الصورة الأخيرة أن تكون الأرض التي وقع بها وخمة والأرض التي يريد التوجه إليها صحيحة فيتوجه بهذا القصد ، فهذا جاء النقل فيه عن السلف مختلفا : فمن منع نظر إلى صورة الفرار في الجملة ، ومن أجاز نظر إلى أنه مستثنى من عموم الخروج فرارا لأنه لم يتمحض للفرار وإنما هو لقصد التداوي ، وعلى ذلك يحمل ما وقع في أثر أبي موسى المذكور " أن عمر كتب إلى أبي عبيدة إن لي إليك حاجة فلا تضع كتابي من يدك حتى تقبل إلي . فكتب إليه : إني قد عرفت حاجتك ، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم . فكتب إليه : أما بعد فإنك نزلت بالمسلمين أرضا غميقة ، فارفعهم إلى أرض نزهة, ولعله كانت له حاجة بأبي عبيدة في نفس الأمر فلذلك استدعاه ، وظن أبو عبيدة أنه إنما طلبه ليسلم من وقوع الطاعون به فاعتذر عن إجابته لذلك ، وقد كان أمر عمر لأبي عبيدة بذلك بعد سماعهما للحديث المذكور من عبد الرحمن بن عوف ، فتأول عمر فيه ما تأول ، واستمر أبو عبيدة على الأخذ بظاهره ، وأيد الطحاوي صنيع عمر بقصة العرنيين ، فإن خروجهم من المدينة كان للعلاج لا للفرار ، وقد لحظ البخاري ذلك فترجم قبل ترجمة الطاعون من خرج من الأرض التي لا تلائمه ، وساق قصة العرنيين . وقد ذكر العلماء في النهي عن الخروج حكما : منها أن الطاعون في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع به ، فإذا وقع فالظاهر مداخلة سببه لمن بها فلا يفيده الفرار ، لأن المفسدة إذا تعينت كان الفرار عبثا فلا يليق بالعاقل ، ومنها أن الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه ضائع المصلحة لفقد من يتعهده حيا وميتا ، وأيضا فلو شرع الخروج فخرج الأقوياء لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء ، وقد قالوا إن حكمة الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر وإدخال الرعب عليه بخذلانه ، وقد جمع الغزالي بين الأمرين فقال : الهواء لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن ، بل من حيث دوام الاستنشاق فيصل إلى القلب والرئة فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر إلا بعد التأثير في الباطن ، فالخارج من البلد الذي يقع به لا يخلص غالبا مما استحكم به . وينضاف إلى ذلك أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لبقي المرضى لا يجدون من يتعاهدهم فتضيع مصالحهم . ومنها ما ذكره بعض الأطباء أن المكان الذي يقع به الوباء تتكيف أمزجة أهله بهواء تلك البقعة وتألفها وتصير لهم كالأهوية الصحيحة لغيرهم ، فلو انتقلوا إلى الأماكن الصحيحة لم يوافقهم ، بل ربما إذا استنشقوا هواءها استصحب معه إلى القلب من الأبخرة

الرديئة التي حصل تكيف بدنه بها فأفسدته ، فمنع من الخروج لهذه النكتة[1].. وفي قصة عمر من الفوائد مشروعية المناظرة ، والاستشارة في النوازل ، وفي الأحكام ، وأن الاختلاف لا يوجب حكما ، وأن الاتفاق هو الذي يوجبه ، وأن الرجوع عند الاختلاف إلى النص ، وأن النص يسمى علما ، وأن الأمور كلها تجري بقدر الله وعلمه ، وأن العالم قد يكون عنده ما لا يكون عند غيره ممن هو أعلم منه . وفيه وجوب العمل بخبر الواحد ، وهو من أقوى الأدلة على ذلك ، لأن ذلك كان باتفاق أهل الحل والعقد من الصحابة فقبلوه من عبد الرحمن بن عوف ولم يطلبوا معه مقويا . وفيه الترجيح بالأكثر عددا والأكثر تجربة لرجوع عمر لقول مشيخة قريش مع ما انضم إليهم ممن وافق رأيهم من المهاجرين والأنصار ، فإن مجموع ذلك أكثر من عدد من خالفه من كل من المهاجرين والأنصار ، ووازن ما عند الذين خالفوا ذلك من مزيد الفضل في العلم والدين ما عند المشيخة من السن والتجارب ، فلما تعادلوا من هذه الحيثية رجح بالكثرة ووافق اجتهاده النص ، فلذلك حمد الله – تعالى – على توفيقه لذلك . وفيه تفقد الإمام أحوال رعيته لما فيه من إزالة ظلم المظلوم وكشف كربة المكروب وردع أهل الفساد وإظهار الشرائع والشعائر وتنزيل الناس منازلهم.}[2] انتهى النقل من الفتح مع تصرف بسيط.

شرح الفقير ومايؤخذ من الحديثين الثاني والثالث في بحثنا وهما حديث عبد الله بن عباس وعبدالله بن عامر رضي الله عنهما:

حديث عبد الرحمن بن عوف وهو برواية عبدالله بن عباس رضي الله عنه ، وفيه قصة عمر وأبي عبيدة ، ذكره من وجهين مطولا في الحديث الثاني في بحثنا هذا ومختصرا في رواية عبدالله بن عامر الحديث الثالث اللاحق.

---

[1] هذا كلام معجزمن هؤلاء الفقهاء والمحدثون برغم عدم معرفتهم للجراثيم والميكروبات

[2] الفتح لإبن حجر تحقيق ابن باز ط 1424 هـ دار الحديث القاهرة ج 10 ص 210 -- 212 مع تصرف

قلت هذان حديثيان عظيمان فيه كل ما يتعلق بالوباء والطاعون نظريا وعمليا وشرعا وحسا وعقلا وقد قام بتمثيل كل تلك الأدوار فيهما ناس من خير البشر وخير القرون وإليك المشهد المفصل ,تبدأ القصة بخروج الحاكم العادل لتفقد أحوال الرعية والجنود الذين يفتحون البلدان وينشرون الإسلام مع التأكيد بعدم وقوع المظالم ,وفي المقابل حب الرعية للحاكم و إخبارهم له بماوقع من الطاعون حتى لا يصيبه , ثم تواضع الحاكم والأخذ بالمشورة وعدم الإستبداد في الحكم , ثم حرص الحاكم بأخذ المشورة من مختلف الدرجات بدءا بالأسبقية في الدين والتقوى ثم الرجوع الى المصلحة العامة وعدم التهور والعناد كما نراه اليوم في بعض المسلمين اليوم ,ثم بعد المشورة تنفيذ المشروع وغض الطرف من المخالفين وبيان الأصلح وبضرب الأمثال إقتداءا بالنبي صلى الله عليه وسلم لتقريب المعلومة للأفهام , لقد قام عمر بن الخطاب بالإجتهاد بعدم الدخول إلى البلد الموبئة بعد مشورة أهل الحل والعقد في الدخول أو عدمه ثم أخذ القرارالصائب بتوفيق الله عزوجل ثم جعل الله عزوجل قراره هذا أو إجتهاده هذا موافقا لهدي النبي صلى الله عليه وسلم بإخبار عبد الرحمن بن عوف له بما سمعه في الوباء فسبحان الله ما اكثر موافقات ابن الخطاب رضي الله عنه لربه عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فعلا إنه العبقري , وايضا الحديث يين لنا أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حريصون جدا بنشر العلم وعدم كتمانه فرحمات الله ورضوانه عليهم تترا تترا , ثم بعد كل هذا حمدهم وشكرهم لربهم بهذه النعم , (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[1], والقيام بما هو الأصلح والأنفع ألا وهو عدم الدخول للبلد الموبوئة وكل ذلك كان قدرالله المقدر والحمدلله. فالحديثان يثبتان نفس القاعدة الأولى وهي عزل المنطقة الموبوئة و فرض العزل الطبي و الحجر الصحي في الأوبئة وهو منع الدخول والخروج لتلك المنطقة المعدية المطعونة الا بأسس علمية بأخذ الإحترازات و للضرورة القصوى فقط كما هو معلوم الان في عصرنا هذا, و أي مخالفة لهذه القاعدة المذكورة أعلاه تعتبر معصية في الدين.

[1] سورة يونس الآية 10

الحديث الرابع و نصه في صحيح البخاري:

(حدثناعبدالله بن يوسف أخبرنا مالك عن نعيم المجمر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل المدينة المسيح ولا الطاعون)[1]

شرح ابن حجر رحمه الله للحديث الرابع من بحثنا من الفتح الجزء 10 والصفحة 214

((حديث أبي هريرة لا يدخل المدينة المسيح ولا الطاعون كذا أورده مختصرا وقد أورده في الحج عن إسماعيل بن أويس عن مالك أتم من هذا بلفظ " على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال وقدمت هناك ما يتعلق بالدجال ، وأخرجه في الفتن عن القعنبي عن مالك كذلك ، ومن حديث أنس رفعه (المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة فلا يدخلها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله), والحق أن المراد بالطاعون في هذا الحديث المنفي دخوله المدينة الذي ينشأ عن طعن الجن فيهيج بذلك الطعن الدم في البدن فيقتل فهذا لم يدخل المدينة قط ، و هذا من المعجزات المحمدية ، لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن قرية ، وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة . قلت : وهو كلام صحيح ، ولكن ليس هو جوابا عن الإشكال . ومن الأجوبة أنه – صلى الله عليه وسلم – عوضهم عن الطاعون بالحمى لأن الطاعون يأتي مرة بعد مرة والحمى تتكرر في كل حين فيتعادلان في الأجر ويتم المراد من عدم دخول الطاعون لبعض ما تقدم من الأسباب ، ويظهر لي جواب آخر بعد استحضار الحديث الذي أخرجه أحمد من رواية أبي عسيب رفعه أتاني جبريل بالحمى والطاعون ، فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام وهو أن الحكمة في ذلك أنه – صلى الله عليه وسلم – لما دخل المدينة كان في قلة من أصحابه عددا ومددا وكانت المدينة وبئة كما سبق من حديث عائشة ثم خير النبي – صلى الله عليه وسلم – في أمرين يحصل بكل منهما الأجر

---

[1] تخريج الحديث الرابع صحيح أخرجه البخاري في كتاب الطب برقم 5731و,رقم 1880و رقم 7125 و صحيح مسلم في كتاب الحج برقم 1379.

الجزيل فاختار الحمى حينئذ لقلة الموت بها غالبا ، بخلاف الطاعون ، ثم لما احتاج إلى جهاد الكفار وأذن له في القتال كانت قضية استمرار الحمى أن تضعف أجساد الذين يحتاجون إلى التقوية لأجل الجهاد ، فدعا بنقل الحمى من المدينة إلى الجحفة فعادت المدينة أصح بلاد الله بعد أن كانت بخلاف ذلك ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصلت له بالقتل في سبيل الله ، ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التي هي حظ المؤمن من النار ، ثم استمر ذلك بالمدينة تمييزا لها عن غيرها لتحقق إجابة دعوته وظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره هذه المدة المتطاولة.))[1] انتهى النقل من الفتح مع تصرف بسيط.

شرح الفقير ومايؤخذ من الحديث الرابع في بحثنا:

قلت والقاعدة الثانية في الأوبئة والطواعين هي انها تقع بإرادة الله عزوجل و حيث شاء ومتى شاء, ولايتحكم في نشرها أو رفعها الا الله عزوجل وهذا لا ينفي الأخذ بالأسباب كما دلت عليها الأحاديث السابقة, والتي منعت الدخول والخروج وهي من الأسباب ففهم فإنه لب المسئلة التي غفل عنها الحذاق العقلاء و العوام البسطاء . ولهذا الحديث يؤكد عدم دخول الطواعين الى المدينة المحروسة بملائكة الله عزوجل, كما لا يستطيع ان يدخلها المسيح الدجال وجنوده خوفا من جنودالله عزوجل الذين على هم على أطراف المدينة من الملائكة , فمعالجة الأوبئة والطاعون ذو شقين , شق بشري وهي الأخذ بالأسباب من حجر صحي وعزل طبي وأدوية وعقاقير و امصال ولقحات وسياسات وقوانين وما في وسع الإنسان .

والشق الثاني للعلاج وهو الأهم وهو إلهي رباني وهو التوحيد والإيمان مع التضرع والتوسل والدعاء والتوبة والإستغفار الى من خلق وأنزل هذا الوباء,إنه الله عزوجل الحكيم العليم المنتقم الضار النافع الصبور على سوء أعمالنا, فاذا أخذنا بالأسباب الربانية الشرعية والمادية البشرية فعنئذ النجاة والنجاح لنا والا الموت الأسود كما تعوج به كتب التاريخ , ولكن من خلال تجارب التاريخ مع الطواعين والأوبئة اكتشف أنها ترتفع وتضمحل بشكل غريب ومستغرب ولا تفسير لرفعها و اندثارها الا رحمة الله الرحيم, و برغم ذلك

[1] فتح الباري لإبن حجر تحقيق إبن باز ط 1424هـ دار الحديث القاهرة ج 10 ص 214 و 215

ينكر الكثير من يدعي نفسه من أهل العلم والعقل هذا التفسير فسبحان الله الخالق القائل: { قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (64) }[1]. فالخلاصة هي أن المتحكم الحقيقي في الوباء والطاعون هو الله عزوجل وهو الحكيم والخبير, وهو نفسه جل في علاه أمرنا بواسطة الرسل بالأخذ بالأسباب وإلا من أين الولد لمن يريده ولا يتزوج هيهات هيهات.

هنا إشكالان وهما هل الطاعون والوباء سواء أم مختلفان؟وهل يدخلان المدينة المقدسة كلاهما أوأحدهما ؟

, والقدماء تكلموا فيه بما فيه الكفاية والذي نميل إليه هو ما قال عياض : أصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد ، والوباء عموم الأمراض ، فسميت طاعونا لشبهها بها في الهلاك ، وإلا فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا .[2] فالطاعون نوع خاص من الأوبئة ولذلك قد تنتشر الأوبئة في المدينة المنورة ولكن بشرطين أساسين وهما أولا لا يدخل الطاعون البكتيري اليرسيني للمدينة ابدا مهما كان بإذن الله عزوجل ,والتاريخ شاهد عليه, وثانيا أي وباء اخر ممكن ان يظهر في المدينة ولكن لن يتحول الى كارثة بشرية وهذا هو المعروف عبر القرون إلى اليوم حيث تنتشر في كل العالم جائحة كوفيد 19 وهي موجودة في المدينة المنورة الآن ولكنها بأعداد بسيطة وقليلة بالنسبة لغيرها من المدن والحمد لله أولا وأخيرا , وبهذا زال الإشكال أخذا بالنصوص والواقع.

وتطرق للإشكال الثاني امير المؤمنين في الحديث ابن حجر العسقلاني رحمه الله في الفتح فقال: {(وقد أجاب القرطبي في " المفهم " عن ذلك فقال : المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها كطاعون عمواس والجارف ، وهذا الذي قاله يقتضي تسليم أنه دخلها في الجملة ، وليس كذلك فقد جزم ابن قتيبة في " المعارف " وتبعه جمع جم من آخرهم الشيخ محيي الدين النووي في " الأذكار " بأن الطاعون لم يدخل المدينة أصلا ولا مكة أيضا ، لكن نقل جماعة أنه دخل مكة في الطاعون العام الذي كان في سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، بخلاف المدينة فلم يذكر أحد قط أنه وقع بها الطاعون أصلا ،

---

[1] سورة الأنعام الآية 63و64

[2] إكمال المعلم بفوائد مسلم, شرح مسلم لقاضي تحقيق يحيى إسماعيل عياض ط دار الوفاء مصر1419هـ 7\130

ولعل القرطبي بنى على أن الطاعون أعم من الوباء ، أو أنه هو وأنه الذي ينشأ عن فساد الهواء فيقع به الموت الكثير ، وقد مضى في الجنائز من صحيح البخاري قول أبي الأسود " قدمت المدينة وهم يموتون بها موتا ذريعا " فهذا وقع بالمدينة وهو وباء بلا شك ، ولكن الشأن في تسميته طاعونا ، والحق أن المراد بالطاعون في هذا الحديث المنفي دخوله المدينة الذي ينشأ عن طعن الجن فيهيج بذلك الطعن الدم في البدن فيقتل , (ربما يكون الطاعون اليرسيني البكتيري بلغة الطب الحديث), والله اعلم – فهذا الأخير لم يدخل المدينة قط.)} الفتح [1].

فما قلنا في البحث قريب من قولهم , وقريب من الواقع إن شاء الله , والله أعلم .

الحديث الخامس في بحثنا ونصه في صحيح البخاري:

(حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عاصم حدثتني حفصة بنت سيرين قالت: قال لي أنس بن مالك رضي الله عنه يحيى بم مات؟ قلت من الطاعون, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطاعون شهادة لكل مسلم)[2]

شرح ابن حجر للحديث الخامس في بحثنا من الفتح الجزء 10 الصفحة 216

قال ابن حجر رحمه الله تعالى {قوله : (عبد الواحد) هو ابن زياد ، وعاصم هو ابن سليمان الأحول ، والإسناد كله بصريون .

قوله : (قالت قال لي أنس) ليس لحفصة بنت سيرين عن أنس في البخاري إلا هذا الحديث .

قوله : (يحيى بم مات) ؟ أي بأي شهر مات ؟ ووقع في رواية " بما مات " ؟ بإشباع الميم وهو للأصيلي وهي ما الاستفهامية ، لكن اشتهر حذف الألف منها إذا دخل عليها حرف جر ، ويحيى المذكور هو

---

[1] فتح الباري لإبن حجر تحقيق إبن باز ط 1424هـ دار الحديث القاهرة ج 10 ص 215 و 216

[2] أخرجه البخاري في كتاب الطب في الطاعون برقم 5732 ومسلم في كتاب الإمارة وباب بيان الشهداء برقم 1916

ابن سيرين أخو حفصة ، ووقع في رواية مسلم يحيى بن أبي عمرة وهو ابن سيرين لأنها كنية سيرين ، وكانت وفاة يحيى في حدود التسعين من الهجرة على ما يورد من هذا الحديث ، لكن أخرج البخاري في " التاريخ الأوسط " من طريق حماد عن يحيى بن عتيق " سمعت يحيى بن سيرين ومحمد بن سيرين يتذاكران الساعة التي في الجمعة " نقله بعد موت أنس بن مالك ، أراد أن يحيى بن سيرين مات بعد أنس بن مالك فيكون حديث حفصة خطأ ، انتهى . وتخريجه لحديث حفصة في الصحيح يقتضي أنه ظهر له أن حديث يحيى بن عتيق خطأ ، وقد قال في " التاريخ الصغير " حديث يحيى بن عتيق عن حفصة خطأ ، فإذا جوز عليه الخطأ في حديثه عن حفصة جاز تجويزه عليه في قوله : " يحيى بن سيرين " فلعله كان أنس بن سيرين ، والله أعلم .

قوله : (الطاعون شهادة لكل مسلم) أي يقع به ، هكذا جاء مطلقا في حديث أنس ، وسيأتي مقيدا بثلاثة قيود في حديث عائشة الذي في الباب بعده ، وكأن هذا هو السر في إيراده عقبه.}[1] انتهى النقل من الفتح.

شرح الفقير ومايؤخذ من الحديث الخامس في بحثنا

قلت هذا الحديث يعتبر بشرى سارة لكل مسلم حيث يبشرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بأن من مات من المسلمين بالطاعون فهو شهيد, فنستخرج القاعدة الثالثة وهي أن من رحمة الله جعل موت المسلم بالطاعون شهادة في سبيل الله مطلقا بهذا الحديث , وإن جاء هذا الحكم مقيدا بشروط في الأحاديث التالية وسنتطرق إلى ذلك في موضعه إن شاءالله عزوجل , وقضت الحكمة الإلهية أن يزيد عدد الشهداء في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة عن شهداء الامة, كما في صحيح مسلم وهو بلفظ: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تعدون الشهيد فيكم، قالوا: يا رسول الله، من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: إن شهداء أمتي إذاً لقليل، قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: من قتل في سبيل الله

---

[1] فتح الباري لإبن حجر تحقيق إبن باز ط 1424هـ دار الحديث القاهرة ج 10 ص 216 و 217

فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، قال ابن مقسم: أشهد على أبيك في هذا الحديث أنه قال: والغريق شهيد. والحديث رواه[1] أيضاً النسائي في المجتبى ، وابن حبان في صحيحه ، وأحمد في مسنده،والبيهقي في سننه.

وهناك أحاديث كثيرة تثبت أن المطعون الذي مات بالطاعون شهيد أي ينال درجة الشهادة وليس أجر الشهادة فقط وبينهما فرق واضح فأنتبه , وإليك الأدلة من تلك الأحاديث أولا الحديث السادس حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (قال المبطون شهيد والمطعون شهيد)[2] انظرشرحه و تخريجه في مقامه إن شاء الله عزوجل . ثانيا أخرج أحمد بسند حسن عن عتبة بن عبد السلمي رفعه (يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون ، فيقول أصحاب الطاعون : نحن شهداء ، فيقال : انظروا فإن كان جراحهم كجراح الشهداء تسيل دما وريحها كريح المسك فهم شهداء ، فيجدونهم كذلك).[3] (رواه أحمد). وله شاهد من حديث العرباض بن سارية أخرجه أحمد أيضا والنسائي بسند حسن أيضا بلفظ "(يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا عز وجل في الذين ماتوا بالطاعون ، فيقول الشهداء : إخواننا قتلوا كما قتلنا ، ويقول الذين ماتوا على فرشهم إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا ، فيقول الله عز وجل : انظروا إلى جراحهم ، فإن اشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم ، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم).[4] (رواه النسائي).

---

[1]أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة برقم 1915 و أيضاً النسائي في المجتبى برقم: 3194، وابن حبان في صحيحه برقم: 3166 و وأحمد برقم: 8031.

[2] 2: أخرجه البخاري في كتاب الطب ورقمه 5733 ومسلم ورقمه 1914 و في كتاب الإمارة وباب بيان الشهداء

[3] (رواه أحمد، و الحديث بالرقم 16993)

[4] (رواه النسائي، و الحديث بالرقم 3113).

وخلاصة القول بأن وفاة المسلم بالطاعون شهادة له أي نال درجة الشهادة مطلقا بهذه الأحاديث, وقد خالف بعض المحديثين وقالوا بأن نيل الشهادة بالطاعون مقيدة بقيود ومنهم ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في الفتح و بذل الماعون وسنأتي الى ذلك في موضعه بحول الله وقوته إن شاء.

ولكن كعادة جهابذة الفن والعلم لهم فهم و تعمق في ربط الأحاديث و التوفيق بينها ومنهم أمير المؤمنين في الحديث ابن حجر العسقلاني حيث ربط بين هذا الحديث وحديث عائشة رضي الله عنها,

وأخرج لنا درة من درر الحديث وهي أن نيل اجر الشهادة بل درجة الشهادة لمن مات بالطاعون لا تكون الا بشروط ذكرها الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام في حديث الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما.

فقال إبن حجر رحمه الله تعالى في الفتح {(قوله : (فليس من عبد) أي مسلم (يقع الطاعون) أي في مكان هو فيه (فيمكث في بلده) في رواية أحمد " " في بيته " ، و بلفظ يكون فيه ويمكث فيه ولا يخرج من البلد أي التي وقع فيها الطاعون . قوله : (صابرا) أي غير منزعج ولا قلق ، بل مسلما لأمر الله راضيا بقضائه ، وهذا قيد في حصول أجر الشهادة لمن يموت بالطاعون ، وهو أن يمكث بالمكان الذي يقع به فلا يخرج فرارا منه كما تقدم النهي عنه في الباب قبله صريحا .وقوله : يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له قيد آخر ، وهي جملة حالية تتعلق بالإقامة ، فلو مكث وهو قلق أو متندم على عدم الخروج ظانا أنه لو خرج لما وقع به أصلا ورأسا وأنه بإقامته يقع به فهذا لا يحصل له أجر الشهيد ولو مات بالطاعون ، هذا الذي يقتضيه مفهوم هذا الحديث كما اقتضى منطوقه أن من اتصف بالصفات المذكورة يحصل له أجر الشهيد وإن لم يمت بالطاعون ويدخل تحته ثلاث صور:أن من اتصف بذلك فوقع به الطاعون فمات به، أو وقع به ولم يمت به،أو لم يقع به أصلا ومات بغيره عاجلا أو آجلا) }[1]. اي ان الصور الثلاثة تاخذ أجر الشهيد. والله أعلم .

[1] الفتح لإبن حجر تحقيق ابن باز ط 1424هـ دار الحديث القاهرة ج 10 ص 219 و 220

وقال آيضا في الفتح : {(والتحقيق فيما اقتضاه حديث الباب أنه يكون شهيدا بوقوع الطاعون به ويضاف له مثل أجر الشهيد لصبره وثباته ، فإن درجة الشهادة شيء وأجر الشهادة شيء ، وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة وقال : هذا هو السر في قوله والمطعون شهيد وفي قوله في هذا : فله مثل أجر شهيد ويمكن أن يقال : بل درجات الشهداء متفاوتة ، فأرفعها من اتصف بالصفات المذكورة ومات بالطاعون ، ودونه في المرتبة من اتصف بها وطعن ولم يمت به ، ودونه من اتصف ولم يطعن ولم يمت به . ويستفاد من الحديث أيضا أن من لم يتصف بالصفات المذكورة لا يكون شهيدا ولو وقع الطاعون ومات به فضلا عن أن يموت بغيره ، وذلك ينشأ عن شؤم الاعتراض الذي ينشأ عنه التضجر والتسخط لقدر الله وكراهة لقاء الله ، وما أشبه ذلك من الأمور التي تفوت معها الخصال المشروطة ، والله أعلم)}[1] الفتح انتهى .

الخلاصة هي أنه مطلوب تصحيح العقيدة في الطاعون و في الموت به لمن كان أهلا للفهم والعقل من المسلمين, وهذا التصحيح والتعليم للعوام واجب على العلماء والفقهاء,وهوحق للعوام , وإلا وقع المسلمون في مخالفات شرعية وضاع أجرهم في الدنيا والأخرة كما هو الوضع الآن مع أكثر المسلمين للأسف في ظرف جائحة الكوفيد 19 الحالي المستجدوضجرهم وسخطهم منها وخوفهم الشديد لدرجة الهلع والهلوسة نتيجة لما ينتشر في الإعلام المرئي والمسموع الرسمي منه وغيره وأكثره إشاعات وإفترآت باطلة لزعزعة الأمن والإيمان ولا مخرج له إلا بالإعتقاد الصحيح كما أسلفنا والإيمان القوي وأن الأمر بقدر الله عزوجل و هذا لا يعني ترك الأسباب والسعي , بل نحن مأمورون بكل ذلك , وهذا هو والله المخرج , والله أعلم

[1] الفتح لإبن حجر ط دار الحديث القاهرة ج 10 ص 219

الحديث السادس في بحثنا ونصه من صحيح البخاري:

حدثنا أبوعاصم عن مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المبطون شهيد والمطعون شهيد).[1]

شرح ابن حجر رحمه الله للحديث السادس من الفتح الجزء 10والصفحة 217 :

قال إبن حجر في الفتح {حديث أبي هريرة رفعه " المبطون شهيد ، والمطعون شهيد هكذا أورده مختصرا مقتصرا على هاتين الخصلتين ، وقد أورده في الجهاد من رواية عبد الله بن يوسف عن مالك مطولا بلفظ " الشهداء خمسة : المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والمقتول في سبيل الله, وأشرت هناك إلى الأخبار الواردة في الزيادة على الخمسة _(وقد أوردتها منه هنا في بحثنا هذا لاحقا قريبا)- ، والمراد بالمطعون من طعنه الجن كما تقدم تقريره في أول الباب.}[2] انتهى النقل من الفتح.

شرح الفقيرللحديث السادس في بحثنا

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الطب و في باب ما يذكر في الطاعون ورقمه 5733
ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة وباب بيان الشهداء ورقم 1914

[2] الفتح لإبن حجر ط دار الحديث القاهرة ج 10 ص 217

كما قلنا سابقا أن الشهادة او على الأصح نيل درجة الشهادة لا تنحصر في شهيد المعركة والحديث

أعلاه احد الأدلة و يثبت نيل درجة الشهادة في سبيل الله, ولو أنه مات بمرض البطن من سرطان أو

نزيف لجرح خارجي كالطعن أو داخلي كالألتصاقات أو قرح منفجرة أو التهابات وغيرها والشرط أن

يكون من البطن ومافيه , وربما يشمل ذلك أسباب الموت التي في البطن وحواليه , والله أعلم

أسباب نيل الشهادة غير الطاعون كما بينها أمير المؤمنين إبن حجر رحمه الله تعالى

وهناك أسباب أخرى للموت اذا مات به الأنسان المسلم نال درجة الشهادة أو نال أجر الشهادة كما

بينها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح وبذل الماعون ,وقال :" وقد اجتمع لنا – في أسباب

الشهادة – من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة "[1] انتهى

وهذه الخصال أو الأسباب هي:الأول: الذي يُقتَل في سبيل الله.الثاني: الذي يموت بمرض

الطاعون.الثالث: الميت بداء في البطن.الرابع: الغريق.الخامس: الميت تحت الهدم.السادس: الميت بمرض

---

[1] فتح الباري"لإبن حجر تحقيق إبن باز (6 /50). "بذل الماعون" لإبن حجر (ص 186)

ذَاتِ الْجَنْبِ.السابع: الذي يموت بالحريق.الثامن: المرأة تموت في النفاس.ويدل على هذه الخصال؛

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المِطْعُونُ، وَالمبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[1] .وحديث جَابِرِ بْن عَتِيكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ؟ قَالُوا: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ.[2] .التاسع: الذي يقتل بسبب دفاعه عن حقّه ومظلمته.عَنْ سُوَيْدِ بْنِ مُقَرِّنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ.[3]

---

[1] رواه البخاري (2829)، ومسلم (1914) متفق عليه

[2] (رواه أبو داود، والحديث رقمه 2704).و في الموطا في كتاب الجنائزفي باب النهي عن البكاء على الميت ورقمه 549

[3] رواه النسائي (4096)، وصححه الأمام الألباني في "صحيح سنن النسائي" (3 / 101)

العاشر: المقتول في دفاعه عن دينه.الحادي عشر: المقتول في دفاعه عن عرضه.الثاني عشر: المقتول في دفاعه عن نفسه.الثالث عشر: المقتول في دفاعه عن ماله.عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ .[1]وقال:الترمذي"هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ".

الرابع عشر: الذي يموت في سبيل الله.عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ.قَالَ: إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ! قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ)[2].

الخامس عشر: ذكر الحافظ ابن حجر "السِّل": المرض المعروف ، ونسب هذا إلى حديث رَاشِدِ بْنِ حُبَيْشٍ في "مسند" الإمام أحمد ، لكن الوارد فيه هو "السَّيْلُ".عَنْ رَاشِدِ بْنِ حُبَيْشٍ: " أَنَّ رَسُولَ اللهِ

---

[1] رواه أبو داود (4772)، والترمذي (1421)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ"

[2] أخرجه مسلم (1915)

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَعْلَمُونَ مَنِ الشَّهِيدُ مِنْ أُمَّتِي؟ فَأَرَمَّ الْقَوْمُ، فَقَالَ عُبَادَةُ: سَانِدُونِي، فَأَسْنَدُوهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الصَّابِرُ الْمُحْتَسِبُ.فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ، وَالنُّفَسَاءُ يَجُرُّهَا وَلَدُهَا بِسُرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ) قَالَ: وَزَادَ فِيهَا أَبُو الْعَوَّامِ سَادِنُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ: (وَالْحَرْقُ، وَالسَّيْلُ) [1] .

قال المناوي رحمه الله: " (والسيل) : بفتح السين المشددة ومثناة تحتية ؛ أي : الغرق في الماء. [2]انتهى

وقال محققو مسند الإمام أحمد:" وقوله: "السَّيْل"، هكذا ورد في جميع النسخ، وفي "غاية المقصد" وهو يوافق معنى الغريق،[3] لكن قيّده الحافظ في "الفتح" : والسِّلّ: بكسر المهملة وتشديد اللام. يعني ذاك

---

[1] (رواه أبو داود، الحديث بالرقم2704 وفي مسند" الإمام أحمد (26 / 378).

[2] "فيض القدير"للمناوي الطبعة الثانية 1391 هـ دار المعرفة بيروت (698/4)

[3] مسند الإمام أحمد تحقيق شعيب الأرنؤوط, مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ ج25 ص380

المرض المعروف ــ وهو ذات الجنب أو النوع الشائع منه وهو السل الرئوي وليس السيل و الله أعلم ــ،

فلعله يندرج حينئذ مع من مات بالطاعون "[1] انتهى.

و كلام أمير المؤمنين في شرح الحديث أصوب من شرح المناوي القائم على زيادة خاطئة كما أظن , والله

أعلم.

وعلى هذا يكون الميت بالسيل لاحقا بحكم الغريق , وكذلك الميت بالسل الرئوي المرض المعروف كما

يعرف قديما بذات الجنب كما قال ابن حجر رحمه الله تعالى وانا أوافقه في ذلك لأن صاحب ذات

الجنب المرض المعروف والذي يتكون فيه خراجات في الجنب مع ترسب سوائل في غشاء الرئة وضيق

نفس مع دم في بلغم له أسباب عديدة ,ولكن أهم أسباب ذات الجنب عادة من السل الرئوي كما

نعرفه نحن الأطباء وهو مرض TB , والذي يموت بالسيل ماهو الا غريق , وأما صاحب ذات الجنب

وصاحب السل فهما نوع واحد, فبذلك زال الإشكال في الحالتين سواء كان اللفظ سلا أو سيلا

والحمدلله, وهو مذكور في الشهداء أي صاحب ذات الجنب(السل) والغريق (صاحب السيل) و مضى

---

[1] "الفتح"لإبن حجر تحقيق ابن باز 50/6

ذكره في حديث أبي هريرة وحديث جَابِرِ بْن عَتِيكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ؟[1] والله أعلم .

السادس عشر: المسلم يموت غريبا.ورد هذا في حديث رواه ابن ماجه قال:حَدَّثَنَا جَمِيلُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْمُنْذِرِ الْهُذَيْلُ بْنُ الْحَكَمِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَوْتُ غُرْبَةٍ شَهَادَةٌ)[2], وقد ضعفه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى؛ حيث قال:" أخرجه ابن ماجه بسند واه، وأخرجه الطبراني في أثناء حديث، من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده، قال: " والغريب شهادة". و"عبد الملك": متروك.قال المنذري: وجاء في أن موت الغريب شهادة عدة أحاديث، لا يبلغ شيء منها درجة الحسن."[3] انتهى

---

[1] رواه مسلم (1915) و في الموطا في كتاب الجنائزفي باب النهي عن البكاء على الميت ورقمه 549

[2] رواه ابن ماجه في سننه تحقيق محمد فؤاد دار إحياء الكتب العربية (1613)

[3] بذل الماعون في فضل الطاعون" (ص 185).

السابع عشر: المسلم الذي يموت وهو مرابط في سبيل الله [1].روى عبد الرّزاق في "المصنف" وغيره : عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ وَرْدَانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا مَاتَ شَهِيدًا وَوُقِيَ فَتَّانَ الْقَبْرِ، وَغُدِيَ وَرِيحَ بِرِزْقِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَجَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ .

لكن راويه إبراهيم بن محمد ضعفه أهل العلم.قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:" إبراهيم ابن محمد ابن أبي يحيى الأسلمي... أبو إسحاق المدني، متروك "[2] انتهى. وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى هذا الحديث في كتابه "الموضوعات" وقال :" قال أحمد بن حنبل: وليس هذا الحديث بشيء.[3] انتهى.

ولكن اذاكان المرابط نوى الرباط على الثغر مع احتمال تعرضه للقتل من قبل العدو في أي وقت يدخل في من اراد الشهادة ولو مات على السرير, والله اعلم .

الثامن عشر: من وقصه بعيره أو فرسه، يعني أسقطه فكسر عنقه.التاسع عشر: من لدغته هامّة؛ كالحيّة والعقرب.العشرون: من مات على فراشه.روى هذا أبو داود عن بَقِيَّة بْن الْوَلِيدِ، عَنِ ابْنِ ثَوْبَانَ، عَنْ أَبِيهِ،

---

[1] رواه عبد الرّزاق في "المصنف" (5 / 283)

[2] تقريب التهذيب"لابن حجر العسقلاني تحقيق أبو الأشبال صغير أحمد دار العاصمة ط 1421ھ (ص 93).

[3] الموضوعات"لابن الجوري ط1 1386 ھ تحقيق عبدالرحمان محمد المكتبة السلفية المدينة 1386 ھ (3 / 217)

يَرُدُّ إِلَى مَكْحُولٍ، إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غُنْمٍ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ أَبَا مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ فَصَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتَ، أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ، أَوْ وَقَصَهُ فَرَسُهُ، أَوْ بَعِيرُهُ أَوْ لَدَغَتْهُ هَامَّةٌ، أَوْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ، أَوْ بِأَيِّ حَتْفٍ شَاءَ اللَّهُ، فَإِنَّهُ شَهِيدٌ، وَإِنَّ لَهُ الْجَنَّةَ.[1] وظاهر اللفظ أن التقييد بـ "في سبيل الله" هو لكل ما ذكر في الحديث من الخصال .

ورواه الحاكم في "المستدرك" ، وقال: "صحيح على شرط مسلم".فتعقبه الذهبي بقوله:"قلت: ابن ثوبان لم يحتج به مسلم؛ وليس بذاك، وبقية ثقة، وعبد الرحمن بن غنم لم يدركه مكحول فيما أظن"..لكن من يسقط من فرسه وجمله فيموت؛ قد ورد له شاهد من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صُرِعَ عَنْ دَابَّتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ.[2] رواه الطبراني في "المعجم الكبير"

[1] رواه الحاكم في "المستدرك" (2/ 78 – 79) و أبو داود بالرقم (2499) و ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة 11\597 ,

[2] رواه الطبراني (17 / 323)، وصحح إسناده الألباني في "السلسلة الصحيحة" (4 / 231)

وأما الذي يموت على فراشه؛ إن كان المقصود به: مع تمنيه الشهادة؛ فهذا له شاهد صحيح رواه الإمام مسلم (1909) عَنْ سهلِ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ.[1]

- وللعلم هؤلاء الأصناف يشاركون شهيد المعركة في أصل و فضل الشهادة وثوابها، كما يدل عليه ظاهر التسمية.
- قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:" فهذه الخصال، ورد في كل منها أن صاحبها شهيد ؛ بمعنى أنه يعطى أجر الشهيد . وغالبها مِيْتات فيها شدّة –وفظاعة وقسوة– ،لذلك تفضل الله بها على هذه الأمة المحمدية، بأن جعلها تمحيصًا لذنوبهم، وزيادة في أجورهم، ومراتبها مع ذلك متفاوتة فيما يظهر، حتى في الأشخاص، والله أعلم "[2] انتهى

[1] أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة في باب استحباب طلب الشهادة ورقمه (1909)

[2] "بذل الماعون" لإبن حجر (ص 186).

الحديث السابع في بحثنا ونصه من صحيح البخاري

(حدثنا إسحاق أخبرنا حبان حدثنا داود بن أبي الفرات حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيي بن يعمر عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها أخبرتنا أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون, فأخبرها نبي الله صلى الله عليه وسلم (أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين, فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد.) [1]

شرح ابن حجر رحمه الله للحديث السادس من الفتح الجزء10 والصفحة 218

قال إبن حجر في الفتح :{ قوله: (حدثنا إسحاق) هو ابن راهويه .
قوله : (أنها سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الطاعون) في رواية أحمد من هذا الوجه عن عائشة " قالت سألت " . قوله : (أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء) في رواية الكشميهني " على من شاء أي من كافر أو عاص كما تقدم في قصة آل فرعون وفي قصة أصحاب موسى مع بلعام .
قوله : (فجعله الله رحمة للمؤمنين) أي من هذه الأمة ، وفي حديث أبي عسيب عند أحمد " فالطاعون

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الطب في باب أجر الصابر على الطاعون 5734 و أخرجه أحمد 6\64

شهادة للمؤمنين ورحمة لهم ، ورجس على الكافر وهو صريح في أن كون الطاعون رحمة إنما هو خاص بالمسلمين ، وإذا وقع بالكفار فإنما هو عذاب عليهم يعجل لهم في الدنيا قبل الآخرة ، وأما العاصي من هذه الأمة فهل يكون الطاعون له شهادة أو يختص بالمؤمن الكامل؟. وذلك لوجود أاحاديث أخرى تبين أن الطاعون قد يقع عقوبة بسبب المعصية ، فكيف يكون شهادة ؟ويحتمل أن يقال :بل تحصل للعاصي درجة الشهادة لعموم الأخبار الواردة ، ولا سيما في الحديث الذي قبله عن أنس الطاعون شهادة لكل مسلم ولا يلزم من حصول درجة الشهادة لمن اجترح السيئات مساواة المؤمن الكامل في المنزلة ، لأن درجات الشهداء متفاوتة كنظيره من العصاة إذا قتل مجاهدا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا مقبلا غير مدبر ، ومن رحمة الله بهذه الأمة المحمدية أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ، ولا ينافي ذلك أن يحصل لمن وقع به الطاعون أجر الشهادة ، ولا سيما وأكثرهم لم يباشر تلك الفاحشة ، وإنما عمهم – والله أعلم – لتقاعدهم عن إنكار المنكر . وذلك للخبر الصحيح إن الشهيد يغفر له كل شيء إلا الدين فإنه يستفاد منه أن الشهادة لا تكفر التبعات ، وحصول التبعات لا يمنع حصول درجة الشهادة ، وليس للشهادة معنى إلا أن الله يثيب من حصلت له ثوابا مخصوصا ويكرمه كرامة زائدة ، وقد بين الحديث أن الله يتجاوز عنه ما عدا التبعات ، فلو فرض أن للشهيد أعمالا صالحة وقد كفرت الشهادة أعماله السيئة غير التبعات فإن أعماله الصالحة تنفعه في موازنة ما عليه من التبعات وتبقى له درجة الشهادة خالصة ، فإن لم يكن له أعمال صالحة فهو في المشيئة ، والله أعلم .

قوله : (فليس من عبد) أي مسلم (يقع الطاعون) أي في مكان هو فيه (فيمكث في بلده) في رواية أحمد " " في بيته " ، ويمكث فيه ولا يخرج من البلد أي التي وقع فيها الطاعون .

قوله : (صابرا) أي غير منزعج ولا قلق ، بل مسلما لأمر الله راضيا بقضائه ، وهذا قيد في حصول أجر الشهادة لمن يموت بالطاعون ، وهو أن يمكث بالمكان الذي يقع به فلا يخرج فرارا منه كما تقدم النهي عنه في الباب قبله صريحا .وقوله : يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له قيد آخر ، وهي جملة حالية تتعلق بالإقامة ، فلو مكث وهو قلق أو متندم على عدم الخروج ظانا أنه لو خرج لما وقع به أصلا ورأسا وأنه بإقامته يقع به فهذا لا يحصل له أجر الشهيد ولو مات بالطاعون ، هذا الذي يقتضيه مفهوم هذا الحديث كما اقتضى منطوقه أن من اتصف بالصفات المذكورة يحصل له أجر الشهيد وإن لم يمت بالطاعون ويدخل تحته ثلاث صور : أن من اتصف بذلك فوقع به الطاعون فمات به ، أو وقع به ولم

يمت به ، أو لم يقع به أصلا ومات بغيره عاجلا أو آجلا . قوله : (مثل أجر الشهيد) لعل السر في التعبير بالمثلية مع ثبوت التصريح بأن من مات بالطاعون كان شهيدا و أن من لم يمت من هؤلاء بالطاعون كان له مثل أجر الشهيد وإن لم تحصل له درجة الشهادة بعينها وذلك أن من اتصف بكونه شهيدا أعلى درجة ممن وعد بأنه يعطى مثل أجر الشهيد ، والتحقيق فإن درجة الشهادة شيء وأجر الشهادة شيء ، وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة وقال : هذا هو السر في قوله والمطعون شهيد وفي قوله في هذا : فله مثل أجر شهيد ويمكن أن يقال : بل درجات الشهداء متفاوتة ، فأرفعها من اتصف بالصفات المذكورة ومات بالطاعون ، ودونه في المرتبة من اتصف بها وطعن ولم يمت به ، ودونه من اتصف ولم يطعن ولم يمت به . ويستفاد من الحديث أيضا أن من لم يتصف بالصفات المذكورة لا يكون شهيدا ولو وقع الطاعون ومات به فضلا عن أن يموت بغيره ، وذلك ينشأ عن شؤم الاعتراض الذي ينشأ عنه التضجر والتسخط لقدر الله وكراهة لقاء الله ، وما أشبه ذلك من الأمور التي تفوت معها الخصال المشروطة ، والله أعلم .

وقد جاء في بعض الأحاديث استواء شهيد الطاعون وشهيد المعركة ، فأخرج أحمد بسند حسن عن عتبة بن عبد السلمي رفعه يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون ، فيقول أصحاب الطاعون : نحن شهداء ، فيقال : انظروا فإن كان جراحهم كجراح الشهداء تسيل دما وريحها كريح المسك فهم شهداء ، فيجدونهم كذلك . وله شاهد من حديث العرباض بن سارية أخرجه أحمد أيضا والنسائي بسند حسن أيضا بلفظ " يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا عز وجل في الذين ماتوا بالطاعون ، فيقول الشهداء : إخواننا قتلوا كما قتلنا ، ويقول الذين ماتوا على فرشهم إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا ، فيقول الله عز وجل : انظروا إلى جراحهم ، فإن اشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم ، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم . }[1]انتهى النقل من الفتح.

شرح الفقير على الحديث السابع في بحثنا

---

[1] فتح الباري تحقيق ابن باز دار الحديث مصر ط 1424 هـ ج10 ص 218

قلت في هذا الحديث الجامع ترشدنا أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الطاعون كعادتها كانت تسأل وتستفي زوجها وحبيبها محمد صلى الله عليه وسلم في أمور خاصة وعامة عظيمة في حياتنا ثم لا تبخل علينا من هذا النبع النبوي الفياض فتعلمنا وتنشر بيننا هذا النور والعلم, فيصلح الله به ديننا ودنيانا فجزاها الله عنا وعن المسلمين خيرا ولعن الله من لعنها أو إتهمها بعد أن برأها الله عزوجل من فوق سبع سموات , وفي المقابل نبينا صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة والهدى للعالمين اذا سئل عن شيء أجاب بجواب شافي و كافي بل زاد عليه للفائدة كعادته, مثل لما سئل عن ماء البحر فقط للوضوء فأجاب صلى الله عليه وسلم : (هو الطهور ماءه,الحل ميتته)[1] بزيادمعلومة للفائدة وهوقوله (الحل ميتته) وهذا من كرمه ونبله صلى الله عليه وسلم, بل هذا كله والدين والشرائع كلها ماهي الا رحمة ونعمة من رب العالمين فله الحمد أولا وأخيرا, ففي هذا الحديث الذي هو في بحثنا بين النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة الطاعون وسبب وقوعه وموقف المسلم منه وكيفية التعامل معه و الأجر المترتب عليه في حالة الموت به أو البقاء بعد الأصابة أو البقاء مع عدم الإصابة, فما ترك شيء الا علمنا أياه , فنخرج من هذا الحديث السابع في بحثنا بالقاعدة الرابعة في التعامل مع الطاعون وهي قاعدة عامة وعليها العمل وفق الشرع لمن أراد ترك الهوى وإتباع الشرع اللهم وفقنا لما تحب وترضى , القاعدة الكلية في الطاعون بل العقيدة الإسلامية في الطاعون هي أنه إبتلاء من الله عزوجل للبشر فعذاب وعقاب للكافرين و العصاة بم كسبت أيديهم , ورحمة وشهادة ودرجة وأجر للمؤمنين إن صبروا ونفذوا ما طلب منهم محتسبين ذلك قدرا وأجرا و أخذوا بالأسباب الشرعية فنجوا ان شاء الله وفازوا بالدرجات العلا في الدنيا والأخرة , ,فالطاعون والوباء عذاب للكافرين والعصاة في الدنيا قبل الآخرة كما ذكر الله عزوجل في قصة قوم فرعون وقصة بني إسرائيل في القرآن الكريم والسنة النبوية في أحاديث عديدة, وفي نفس الوقت قد تقع الأوبئة والطواعين على المسلمين ولكن لا تكون عذابا بل رحمة وتنقية للذنوب و يترتب لمن يصبر ويثبت ولا يشأم ولا يتسخط ولا يفر بأن ينال درجة الشهادة بعينها, وهذا اعلاه من جزاء ومنزلة أو قد ينال أجر الشهادة أو الأجرين معا كما قال العلماء ومنهم ابن حجر رحمه الله في الفتح وبذل الماعون كما مر بنا قريبا.

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم7233 والترمذي في الجامع برقم69 وأبوداود في سننه برقم83

اللهم عافيتك ورحمتك نسأل فإنهما يسبقان غضبك وسخطك . والحديث السابع في بحثنا ايضا يثبت العزل الطبي و الحجر الصحي و المكوث في البيت والبلد وعدم الفرار , وهذا كله لتقليل من إنتشار الطاعون ونقل العدوى للأخرين وهذا كما قلنا سابقا إعجاز علمي في السنة المباركة سبقت به العلم الطبي الحديث مئات السنين فالحمدلله رب العالمين.

الحديث الثامن في بحثنا ونصه من صحيح البخاري:

حدثنا أبواليمان حدثنا شعيب عن الزهري حدثنا عامر بن سعد بن أبي وقاص أنه سمع أسامة بن زيد يحدث سعدا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الوجع فقال:(رجز أو عذاب عذب به بعض الأمم ثم بقي منه بقية فيذهب المرة ويأتي الأخرى, فمن سمع به بأرض فلا يقدمن عليه ومن كان بأرض وقع بها فلا يخرج فرارا منه).[1]

وقد سبق شرح ابن حجر رحمه الله لهذا الحديث في بحثنا هذا في الحديث الأول والحمدلله.

شرح الفقير للحديث الثامن في البحث

قلت في هذا الحديث زوائد لفظية ومعنوية وهي في غاية الفائدة وتنير الفكر والفهم , فمثلا التعبير بالوجع عن الطاعون فيه إيحاء بأن مرض الطاعون مؤلم وموجع بدنيا ونفسيا بل وحتى إجتماعيا حيث يسبب النفرة والكره , ولفظ رجز يدل على ما تكرهه النفوس وتعافيه وتستقذره وهذه الأشياء تحدث وتقع مع المصاب وبدون التعمد من الأخرين , وكلمة عذاب ايضا تدل على الألام و الأوجاع التي تسببها الطاعون نسأل الله السلامة, أمين. و قطعة الحديث (ثم بقي منه بقية فيذهب المرة ويأتي

[1] أخرجه البخاري في كتاب الحيل برقم 6974 و مسلم في كتاب السلام في باب الطاعون والطيرة 2218

الأخرى) هذه هي التي تهمنا كثيرا من هذا الحديث لأنها تثبت أن الطاعون لا ينتهي تماما بل يخمد و يضعف لفترة ثم يظهر ويتفشى وينتشر من جديد, وهذا الوصف وصف معجز و طابق للتاريخ سواء التاريخ العام او التاريخ المرضي الخاص بالطاعون اليرسيني البيكتيري ومايسببه من آلام ,فسبحان الله بالفعل محمد صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى بل وحي إلهي يوحى إليه, وهذه المعلومة ربما توقذ البشرية من غفلتها وسباتها العميق بأن تكون دائما مستعدة لمواجهة الأوبئة والطواعين وتعد لها العدة وإلا وقعت ضحية سهلة لها , كما وقعنا نحن الان في القرن الواحد العشرين برغم التقدم التقني الهائل ووجود الشبكات العنكوتية للمعلومات وغزونا الفضاء كما يدعى ويطلق, فغزانا فيروس كرونا بمرض الكوفيد19هذا الفيروس لا يرى بالعين بل وحتى بالمجاهير العادية إلا بالمجهر الإلكتروني, و قتل منا حتى الان في السابع من صفر 1442 هجري الموافق 24 سبتمبر 2020م مايقارب أو يزيد 850 ألف نفسا ولازل, والمصابون تجاوزا 25 مليونا ولازال, والله المستعان, بينما العالم والأنظمة والحكومات تنفق على الأسلحة و ألامن الداخلي والخارجي المليارات وبقي البحث الصحي والطبي في خانة المهملات والنتائج مدمرة كما ترون وتشاهدون في وسائل الإعلام المرئية والسمعية ووسائل التواصل الإجتماعية والرسمية , فالمتشفيات والإمكانيات الصحية عاجزة عن الوقاية والعلاج , والبحث عن المخرج حتى عالميا و سياسيا ومن كل النواحي لهذه الجائحة الماجنة أصبح غير مؤكد حتى الآن , اذا الخلاصة والنتيجة إن الانسانية عاجزة وعليها الكثير ان تعمل وتبحث عن حلول وأن تأخذ بالأسباب وان لا تغتر بالعلم الحالي والتقنية الحديثة وعليها الرجوع إلى ربها مهما كان و ان وضعت قدميها سواء على القمر أو الأرض أو المريخ قريبا كما يحلمون؟!

الحديث التاسع في بحثنا ونصه من مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى

قال الإمام أحمد رحمه الله في مسنده:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ ". فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الطَّاعُونُ ؟ قَالَ: " وَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَفِي كُلٍّ شُهَدَاءُ ." [1]

وفي حديث آخر وهو الحديث العاشر عندنا في البحث ونصه من المسند ورواه الحاكم في مستدركه, قال الإمام أحمد حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عِيسَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بَلْجٍ قَالَ: حَدَّثَنَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ذَكَرَ الطَّاعُونَ فَقَالَ: وَخْزٌ مِنْ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ، وَهِيَ شَهَادَةُ الْمُسْلِمِ "[2] .

شرح الحديثين التاسع والعاشر السابقين في بحثنا هذا بحول الله وقوته

قلت يضيف لنا الحديثين معلومات وأفكار اخرى جدا مهمة وهي بالترتيب, أولا هلاك أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالطعن أي بالجروح القتالية , و جروح الطاعون شبيه للقتالية ونشرح ذلك بإختصار أن من اسباب هلاك وفناء هذه الامة هو القتل والقتال سواء مع الكفار أو بينهم ووقوع الأوبئة والطواعين فيهم التي تقتلهم بجروح واضحة , ولا يمنع ذلك الأسباب الأخرى , وقد تكون هذه الفناء بالطعن والطاعون بزمن مختص في المستقبل ولم تقع حتى الان والله أعلم , ثانيا تعريف نبوي جديد للطاعون على أنه وخز اعدائنا أو إخواننا من الجن ونحاول أن نعرف القصد منه فنقول وبالله التوفيق, يقول الذي لا ينطق عن الهوى الا وحي يوحى عليه الصلاة والسلام ان للطاعون جروحا تشبه جروح الطعن بالسلاح و لذلك يقع الموت بهما, وبالتالي ثالثا درجة الميت بهما واحدة وهي درجة الشهادة والفرق بينهما أن هذا أي الطعن في القتال جرح من الخارج للداخل وهذا أي جرح الطاعون عكسه من الداخل للخارج والنتيجة واحدة, وهي الموت والله اعلم ,والموت بالكل شهادة أي بالطعن الظاهر وهو القتال ينال به صاحبه درجة الشهادة وكذلك ينال درجة الشهادة من مات

[1] أخرجه أحمد مسنده برقم 19528 والطيالسي برقم 536 والبزار 2986 وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم 4231

[2] مسند الإمام أحمد (413/4) و رواه الحاكم في المستدرك 1\114 وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي

بالطاعون وهو قد يسببه جروح من داخل الجسم للخارج , وقد يراد بالجن ما خفي سواء الجن المخلوق المكلف مثلنا وهو الظاهر والعام أو البراغيث المتخفية بالليل والحاملة للجراثيم أو الميكروبات المسببة للطاعون وهي دقيقة جدا وتخفى على العين المجردة ومع ذلك تؤذي وتسبب مرضا و جروحا وقرحا , والله أعلم .

وقد قال السندي في حاشيته على المسند :{ قوله: بالطعن: أراد القتل بالسلاح أعم من أن يكون بالرمح، أو بالسيف، أو غيرهما.
وخز: الوخز بفتح واو وسكون خاء معجمة، بعدها زاي معجمة: طعن بالرمح أو غيره، ليس بنافذ.
وفي قوله: أعدائكم، إشارة إلى أن الطاعنين من الجن كفرة.
وفي كُل: من الطعن والطاعون}[1].

وقال ابن حجر رحمه الله: (وقوله : " وخز " بفتح أوله وسكون المعجمة بعدها زاي قال أهل اللغة : هو الطعن إذا كان غير نافذ ، ووصف طعن الجن بأنه وخز لأنه يقع من الباطن إلى الظاهر فيؤثر بالباطن أولا ثم يؤثر في الظاهر وقد لا ينفذ ، وهذا بخلاف طعن الإنس فإنه يقع من الظاهر إلى الباطن فيؤثر في الظاهر أولا ثم يؤثر في الباطن ، وقد لا ينفذ.)البذل,[2] انتهى.

وأما قصة إختلاف الرواية وخز أعدائكم أو إخوانكم فهي يحلها لنا إماما الحديث ابن حجر العسقلاني فيما يشرحه لنا وشيخنا وإمامنا الألباني رحمهما الله تعالى رحمة واسعة وجزاهما الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء. فقال إمامنا وشيخنا الألباني رحمه الله تعالى (ت 1420هـ) في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة قال:{"الطاعون وخز إخوانكم من الجن. "
لا أصل له بهذا اللفظ.
وإن أورده ابن الأثير في مادة وخز من " النهاية " تبعا لغريبي الهروي ، وإنما هو مركب من حديثين صحيحين كما يأتي بيانه وقال الحافظ في " الفتح " (10 / 147) : لم أره بهذا اللفظ بعد التتبع الطويل

---

[1] حاشية السندي على مسند الإمام أحمد تحقيق طارق عوض الله طبعة دار المأثور الرياض 1431هـ 4\469

[2] بذل الماعون لإبن حجر الصفحة 173

البالغ في شيء من طرق الحديث المسندة ، لا في الكتب المشهورة ، ولا الأجزاء المنثورة ، وقد عزاه بعضهم لـ " مسند أحمد " و" الطبراني " و"كتاب الطواعين " لابن أبي الدنيا ، ولا وجود لذلك في واحد منها.

قلت ـــ القائل هو الألباني رحمه الله تعالى ـــ : والحديث في مسند أحمد (4 / 395 ، 413 ، 417) ورقمه 19528 وكذا الطبراني في " المعجم الصغير " (ص 71) والحاكم قي المستدراك أيضا (1\114) من طرق عن أبي موسى الأشعري مرفوعا بلفظ : " الطاعون وخز أعدائكم من الجن. "

صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

قلت ـــ والقائل هو الألباني رحمه الله تعالى ـــ: هو صحيح ، أما على شرط مسلم ، فلا ، فإن فيه عند الحاكم وكذا أحمد في بعض طرقه أبا بلج واسمه يحيى بن سليم وهو ثقة ، إلا أنه ليس من رجال مسلم ، وله عند أحمد طريق أخرى بسند صحيح أيضا ، وصححه الحافظ ، فهذا هو المحفوظ في الحديث : وخز أعدائكم ، وأما لفظ إخوانكم فإنما هو في حديث آخر ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : " فلا تستنجوا بهما يعني العظم والبعر فإنهما طعام إخوانكم من الجن " ، رواه مسلم وغيره انظر " نيل الأو طار " فكأنه اختلط على بعضهم هذا بالأول.[1]

والرواية صحيحة السند عند علماء الحديث وإن لم يوردها البخاري ولا مسلم, هي كما قال شيخنا محمد ناصر الدين الألباني المتوفى عام 1420هـ رحمه الله تعالى في إرواء الغليل :{ "عن أبي موسى مرفوعا: (فناء أمتي بالطعن والطاعون)، فقيل: يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: (وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهادة)، رواه أحمد وأبو يعلي والبزار والطبراني (وهو) صحيح، أخرجه أحمد (417/4) وكذا الطيالسي (534) من طريق شعبة عن زياد بن علاقة قال: حدثني رجل من قومي، قال شعبة: قد كنت أحفظ اسمه..، ثم أخرجه أحمد (395/4) من طريق سفيان عن زياد بن علاقة.. ورجاله ثقات رجال الشيخين غير الرجل الذي لم يسم.., والحديث قال الهيثمي (312/2): رواه أحمد بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح ورواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الثلاث، ثم أخرجه أحمد (417/4) من

---

[1](السلسلة الضعيفة للإلباني الصفحة199 ورقم الحديث 86)

طريق أبي بكر النهشلي..، قلت: والقائل هو الألباني رحمه الله تعالى -وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم وأسامة بن شريك الثعلبي صحابي وزياد بن علاقة من بني ثعلبة أيضا فأسامة هذا هو الذي كان شعبة حفظ اسمه ثم نسيه..، وأبو بكر النهشلي ثقة من رجال مسلم..، وله طريق أخرى عن أبي موسى.. أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الطاعون فقال: (وخز من أعدائكم من الجن وهي شهادة المسلم)، أخرجه أحمد (413/4) والحاكم (50/1) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وهو كما قالا..، ثم وجدت للحديث شاهدًا آخر من رواية أبي بردة.. أخرجه الحاكم (93/2) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، (و) حديث عائشة.. رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني؛ صحيح، أخرجه أحمد (133/6 و145و255) والطبراني في الأوسط (2/70/1).. قال: حدثتنا معاذة بنت عبد الله العدوية قالت: دخلت على عائشة فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تفنى أمتي إلا بالطعن والطاعون"، قلت: يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: فذكره (غدة كغدة البعير, المقيم به كالشهيد, والفار منه كالفار من الزحف)، قلت_ والقائل هو الامام الألباني رحمه الله تعالى_: وهذا إسناد صحيح رواته كلهم ثقات"} نقل من (إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - (ج 6/ص70) انتهى.[1]

---

[1] إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني ط 1 المكتب الإسلامي 1399 هـ - (ج6 /ص70)

الباب الخامس

فقه وفوائد وقواعد تأخذ من تلك الأحاديث في فهم الطاعون والوباء و العدوى وغيرهما كثير

1- التشريع الإسلامي شامل و كامل فهو شامل لكل ما يحتاج إليه البشرية وهذا في كل وقت ومكان, وكامل من كل النواحي الدينيية والدنياوية فهو دين كامل لكل العصور و الدهور ولا شك إلى يوم القيامة قال الله تعالى (ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) [1] ,ولذلك بين لنا ديننا ما يتعلق بالطاعون والوباء وان كان وقوعهما نادرا بفضل الله عزوجل, وذلك لكي نتعامل مع نواتجها بما يلزم ونقدم دريء المفاسد على جلب المنافع وإن أدى ذلك إلى تغيرات مناسبة في أداء الصلاة و التوقف من الجمعة والجماعات مؤقتا لدرء نشر و إنتقال الوباء والطاعون فهذا هو الدين ,والإسلام يتميز بهذه المرونة والسلاسة والحمدلله أولا وأخيرا ولا يقوم على التكهنات والأساطير كما هو الحال في الأديان الوضعية, وإنما ألإسلام قائم على أسس عقدية راسخة ماخوذة من المصدرين الاساسين وهما الكتاب الكريم والسنة الصحيحة ثم سنة الخلافة الراشدين ثم الإجتهاد لمن كان أهلا لذلك أو مختصا في مجاله كما قال الله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [2], وأهل الذكر هم أهل الإختصاص والفن وفي هذا المجال هم أهل الطب والعلم ليعطوا الرأي الصحيح في أسباب الأوبئة والطواعين وكيفية التعامل معها وعلاجها علاجا جذريا وعلميا صحيحا قائم بالدليل والبرهان, كما هو الحال في الطب الحديث في علاج عامة الأمراض المعدية وغير المعدية.

---

[1] سورة الأنعام الآية 38

[2] سورة النحل الآية43

2-عالج الإسلام الأوبئة والطواعين بشكل معجز من بداية ظهورها إلى إخمادها مستندا بالوحي الرباني و والسنة الموضحة لها رغم شح المعلومات والإكتشافات العلمية والطبية الحديثة في الصدر الأول من الإسلام, ومع ذلك المسلمون طبقوا تلك الشرائع و القوانين والقواعد الطبية إيمانا وعقيدة فنجوا وبرعوا في الطب والعلم ومن تلك الشرائع مافي معالجة الطاعون والوباء كالقواعد الأربعة التي اخرجناها من هذه الأحاديث الشريفة وهي كما اسلفنا وايضا سنوجزها في الخاتمة القادمة باذن الله تعالى وهي مهمة من الناحية الشرعية والطبية ويؤمن بها ويعمل بها كل العقلاء و الحذاق من البشر إلا الأغبياء والبسطاء من يقومون بإقامة حفلات صاخبة وداعية لنشر الوباء والأمراض كما قامت في الغرب حفلات لتقبيل المصابين بالكوفيد 19 ومن ثم ينتظرون من سيصاب أولا بالعدوى والوباء بعد التقبيل وينال الجائزة المنتظرة فيا الله ماهذه القمة في الغباء والخبل!

3-الوقاية خير من العلاج حكمة قديمة ولكنها خير علاج في الطواعين والأوبئة و الأمراض المعدية ولذلك الحجر الصحي والعزل الطبي الذين دلنا عليهما نبينا نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ما هما إلا بداية وقاية وهو في نفس الوقت علاج ناجع لكل الأمراض المعدية ومنها الأوبئة والطواعين كما في الحديثين السابقين المشروحين (اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوها ....الخ)[1] وحديث (لا يوردن ممرض على مصح ......الخ) [2]. وآيضا من الوقاية وضع خطط علاجية للأزمات والأوبئة والكوارث وتدل عليه قطعة الحديث (ثم بقي منه بقية فيذهب المرة ويأتي الأخرى)[3] هذه في الطاعون وتقاس عليه الغير الكثير من الازمات بأنها ستظهر مرة أخرى وفي أي وقت , ولذا استعدوا وأعدوا الخطط يا مسلمون ويا عقلاء العالم !, والله اعلم .

4- منع الإسلام بل وحرم الدخول والخروج الى بلد المطعون والموبوئ و منع مخالطة أهله إلا لضرورات تحل المحذورات ولإهل الحاجة والإختصاص فقط وفق أصول و قواعد ومباديء الشريعة الإسلامية السمحة وضعت قبل أهل الغرب والشرق بأكثرمن ألف سنة تقريبا والحمدلله.وجعل الفرار المحض من

---

[1] تقدم تخريجه

[2] تقدم تخريجه

[3] تقدم تخريجه

أرض الطاعون وإن لم يصبك او أصابك ذنبا كذنب الفرار من الزحف او عينه منعا لإنتشاره وإنتقاله للأصحاء , وهذا هو مفهوم الإسلام في العدوى وهو ان العدوى موجودة وحقيقة , ولكن لا توجب وقوع المرض منها دائما ولازما وان تحققت أسبابها الا إذا أرد الله عزوجل وهذه الإرادة لا يعرفها البشر غابت عنهم فوجب عليهم الحيطة والحذر والأخذ بالأسباب وبذلك الحمد لله زال ذلك الإشكال في أخبار العدوى وبإختصار شديد , فالإسلام ينفي إلزامية وقوع العدوى والمرض منها في كل حال وإن كان في معظم الحال و لهذا يدعو و في نفس الوقت يدعو الإسلام لإخذ الحيطة والحذر من كل معدي ومضر لأن وقوع العدوى والمرض متوقع وكذلك عدمهما ويزال الخطر بالحيطة والحذر لا بالامبالة والتهور والإقدام كما يقول العقلاء قبل الأطباء, فما بالك إذا كان الحذر والحيطة من الوباء والطاعون وعدم الفرار للواقع أو المصاب بهما عقيدة وعبادة وأجر وشهادة في سبيل الله فهذا والله نور على نور وبشرى فوق بشرى ولكن بدون تعمد وإلقاء النفس في التهلكة وما قام به الخليفة العادل عمر والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من حجر وعزل لهو خير تطبيق عملي لتلك القواعد مع طاعون عمواس وبنجاح ومع تقليل الضحياء حتى نعلم حقا أنها للتطبيق فهي فعالة ومفيدة في إنقاذ الأرواح والأموال والحمد لله , والله أعلم.

5-الإسلام دين ودنيا اوقل دين تطبيقي علمي مجرد كما يقول الأطباء عن الطب او ما يسمى بالطب القائم على الدليل والبرهان أو باللغة الإنجليزية (evidence based medicine (EBM)) وطبق النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام وشرائعه عمليا و خلفائه والصحابة رضوان الله عليهم من بعده ,وما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في طاعوان عمواس لخير دليل بل أكثر من ذلك لأنه اخذ القرار الصائب بعدم الدخول الى أرض الطاعون بالشام بالمشورة مع أهل الحل والعقد والإجتهاد بداية وفق أسس واصول الشرع ومنها درء المفاسد أولى من جلب المنافع , ثم لما علم الحقيقة بالنص ولو بخبر الآحاد من عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه فحينها أصر وحمدالله على قراره فكان نورا على نور وموافقة اخرى لموافقاته لربه عزوجل , فسبحان ما أعظم الإسلام و مطبقيه. اللهم وفقنا لتطبيق شرعك ودينك , اللهم أمين.

6- رحمة الله واسعة على عباده وتسبق غضبه وعقابه سبحانه وتعالى فقد دلنا على الخير ومايفيدنا و نهانا عما يضرنا وأما اذا أصررنا كلنا أوبعضنا ,إذا أصررنا بأن نعمل بالمنهيات و المنكرات سلط الله علينا جند من جنوده ربما يكون من أحقر المخلوقات وأضعفها شأنا لا نراه ولا ندركه حسا ولكن يكون فتكا و فتاكا و عذابا أليما جزاءا وفقا أو ردعا وزجرا لنا لعلنا نتوب ونرجع, فإذا هو ينقلب رحمة وأجرا وشهادة وحكمة إلهية نعرفها بعد الزمن بنتائجها الحميدة في الدنيا والعقبى والله أعلم وأجل.
والذي أقصده أن هذه الطواعين والأوبئة ما هي إلا أدوات إلاهية لعقاب الجناء وردع لهم ولغيرهم وإذا وقعت لا تعرف الشين من الزين إلا بالنيات بعد الممات وعندئذ يفرح الشهداء والمؤمنون ولأحبوا العودة للدنيا ليعاد الكرة كما في الأثار والأخبار للشهداء , قال تعالى {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[1], والقصد الطاعون عذاب للكفار والعصاة وإن وقع على المسلمين بقضاء الله وقدره فهو رحمة بل واكثر بل درجات وأجور كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم(الطاعون شهادة لكل مسلم)[2] و نسأل الله السلامة والعافية فإنه ولي ذلك والقادر عليه, اللهم أمين.

7-الطواعين تجري بقدرالله وقضائه وتنتشر وتدخل وتصيب وتقتل وتترك ولكن بمشيئة الله عزوجل ولذلك لا تدخل الطواعين المدينة المنورة ولاالمسيح الدجال وربما تدخلها الأوبئة و الأمراض الأخرى والتاريخ شاهد بذلك ولا شك , و كذلك الموت قد يكون بالطاعون وقد لا يكون ولكن الفرار لا يفيد بحال اذ كيف تفر النفس المكتوب عليها بالموت من الموت وإن إختلفت طرق فالموت واحد وهو واقع اذا جاء وقته قال تعالى (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ....)[3] النساء 78 , فلا تمنع الحصون ولا الفرار ولكن هناك فارق و إشكال وهو الإتكال وهو مرفوض عقلا و ممنوع شرعا بل لا بد من الأخذ بالأسباب وعمل بما يفيد مثل الوقاية والحيطة و العلاج و عمل ما يلزم وهذا هو التوكل وترك الأسباب هو التواكل, وبعد الأخذ بالأسباب تترك النتائج لله عزوجل فهو الحكيم العليم, ولا يقع

---

[1] سورة البقرة الآية 216

[2] سبق تخريجه

[3] سورة النساء 78

في ملكه الا مايريد ولا يقع في ملكوته العبث بل كله خير وحكمة وإن ظهر لنا العكس فلقلة العقل والإدراك فينا البشر, والحمدلله.

8 -الشهادة وهو الموت في سبيل الله لنصر الإسلام هي أعلى درجة بعد النبوة والصديقية كما في القرآن قال تعالى: ((وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا))[1] النساء 69, وسبحان الله يدرك درجة الشهادة المسلم الذي يموت بدون معركة مع الكفار ولكن لا بد أن يكون متصفا بثلاث شروط اولا أن يكون مسلما مصابا بالطاعون نصا أوأي الوباء قياسا , ثانيا أن يصبر و يمكث في أرض المطعونة ولا يفر , و ثالثا يحتسب ذلك عند الله عزوجل أجرا و ثوابا ولا يتضجر ولا يشمئز من القدر, فإنه حينئذ ينال الشهادة بعينها او أجرها كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم قي أحاديث كثيرة و أستخلص العلماء الجهابذة مفاهيمها من النصوص ومنهم ابن حجر العسقلاني في الفتح وبذل الماعون.[2]

9-لقد من الله بهذه الأمة المحمدية بأن اكثر فيهاعدد الشهداء وان ماتوا على الفرش أو في غير معركة حربية تفضلا منه كالغريق والمبطون وصاحب الهدم وذات الجنب وغيره كثير, وقد بين ووصل بهم ابن حجر رحمه الله الى عشرين نوعا من الميتات او أسباب الشهادة وقد بسطنا ذلك في شرح الأحاديث في مكانه, وهؤلاء يأخذون أجر الشهادة أو درجةالشهادة بإذن الله تعالى وذلك لأنها ميتات مؤلمة وشديدة و فظيعة فاستحق صاحبها الأجر العظيم كما هو الحال مع شهيد المعركة وكذلك لطمئنة قلوب أقارب المصابين وذويهم بمانال المصابون من أجر ومكانة عند الله عزوجل فيخفف عليهم وجع فقدانهم وفراقهم بدل الحسرة والندم والشؤم ولا يعلم حسن وقع ذلك إلا كل عاقل ويأباه كل غافل ومعاند , وقال إبن حجر رحمه الله تعالى رحمة واسعة :" وقد اجتمع لنا — في أسباب الشهادة – من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة "[3] انتهى,و قد أشرنا إليها خصلة تلو خصلة مع الدليل والبرهان في مكانه فالحمدلله على

---

[1] سورة النساء 69

[2] بذل الماعون لإبن حجر الصفحة 196

[3] الفتح لإبن حجر 6\43

نعمه الكثيرة, وأعظمها نعمة الإسلام والإيمان, اللهم توفنا عل الإسلام والسنة وأحيينا على الإسلام والسنة, أمين.

10-ونظرا للإكتشافات العلمية والطبية الحديثة لا بد من إلحاق المستجدات النظرية والعملية في هذا المجال بهذا البحث تكملة وللفائدة فنقول أن الطاعون البكتيري اليارسيني بأنواعه الثلاث الدبلي والرئوي والتسممي الذي ينتج من نتان الدم هو المقصود بالطاعون إن شاء الله تعالى في أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلم وهذا النوع نفسه لا يدخل المدينة المنورة بإذن الله عزوجل جمعا بين الشرع والطب و الواقع الملموس لأن الطاعون البكتيري اليرسيني والذي ينقله البراغيث إلى الجرذان ثم الى الإنسان لم يدخل أو يقع في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليوم وعبر التاريخ الإسلامي مع تحدينا لمن يخالف ذلك , وما ذلك إلا إيمانا وعقيدة منا بأقوال ربنا ورسولنا كما قال صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل المدينةالمسيح ولا الطاعون)[1] وفي رواية (ولاالدجال) و التاريخ شاهد على ذلك فسبحان الله يا لها من معجزة قبل أن يكون إعجازا علميا في أقواله صلى الله عليه وآله وسلم , واما غيرها من الأوبئة والأمراض قد دخلت المدينة وقد تدخل ولكن حتى ولو دخلت تكون خفيفة وقليلة الأموات مقارنة بغيرها من المدن كما حدث في هذا الزمان مع جائحة الكوفيد 19 حيث دخلت ولكن كانت خفيفة جدا في المدينة المباركة و عدد الموتى بها أقل من غيرها من مدن المملكة السعودية و رغم الزوار والعمار ولله الحمد أولا وأخيرا.

واما الطاعون اذا قصد به الوباء بشكل عام او الجائحة كما هو البادر لذهن الناس في هذا العصر والذي يعتقده عوام الناس وحتى الأطباء في هذا الزمان فيدخل فيه كل الطواعين والأوبئة اللهم الا الطاعون اليرسيني البكتيري فهذالا يدخل المدينة ,وربما يدخل مكة المكرمة ولكن يكون خفيفا جدا ولايدخل المدينة المنورة لورود النص بعدم دخوله , والله اعلم, وعلى حسب ما قال الأولون ومنهم ابن حجر رحمة الله عليه في الفتح وبذل الماعون حتى نخرج من الإشكالات و نوضح للقاريء أوجه الجمع بين الواقع والنصوص و حسب ما نشاهده نحن الان في صفر عام 1442 الهجري سبتمير 2020 للميلاد

---

[1] سبق تخريجه

من انتشار جائحة كورونا او الكوفيد 19قي كل العالم بقوة وضراوة حتى وصل عدد المصابين بها إلى أكثر من 32 مليون شخص (32141225) و قتلت حوالي من ثمان مئة وخمسين ألف الى تسع مئة وثمانين ألف نفس (981808) أو أكثر في العالم ولازال[1], فإن قتلاها في المكة والمدينة قليل جدا والحمد لله , والله اعلم.

11- العلاج الوحيد والفعال للطواعين والاوبئة في نظري كطبيب وكطالب علم في الدين هو في ما يلي أولا تصحيح العقيدة وان الله هو الوحيد المتصرف فينا وفي الكون الذي حولنا وأن الفوز والنجاة في الدنيا والاخرة من الكروبات والميكروبات والأوبئة والطواعين والمصائب لا تكون الا بالله عزوجل والرجوع إليه والدعاء والاستغفار والابتهال إليه وحده سبحانه, ولا يقدر على زوال وإزالة تلك النقم الا هو سبحانه مع الإقتلاع من الذنوب والموبقات و التوبة والإستغفار وتقديم الطاعات والإنفاق في وجه الخير و الأخذ بالأسباب المباحة المشروعة, ومنها الأمورالصحية و الطبية وترك البدع والمنكرات ثانيا ,و بعد الأخذ بكل هذه الأسباب الدينية والدنياوية لمواجهة المصائب ومنها الطواعين والأوبئة فاذا وقعت رغم ذلك وسببت الموت فهذا قضاء وقدر الرحمن وهو رحمة وفيه الخير كله خير الدنيا والأخرة بلا شك ولا ريبة , ونترك اللو ونغلق بابه لأنه يفتح علينا أبواب الفتن , و بهذا المعتقد كما عرف من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم والأخذ بالأسباب بشطريهما الديني والمادي تكون النجاة في الدنيا والأخرة ولا بغيرها من الأعمال إن شاء الله تعالى ولا شك , اللهم نسألك عافيتك ورحمتك وفضلك لنا وللمسلمين في كل زمان ومكان فإنها قبل غضبك وسخطك و عقابك يا كريم يا رحيم والحمدلله.

11- وكما هو المعتاد الكمال لله وحده سبحانه وهو الحكيم العليم ولذلك بقي جوانب من بحث الأوبئة والطواعين غير معروف الظاهر وغير متفق الفهم بين اهل العلم والفن والعقل والطب مثل أن الطاعون وخز من الجن وغيره وقد قيل فيه بعض الآراء والتعليقات الله أعلم بحقيقتها مثل أن البكتيريا لا ترى بالعين المجردة فهيا تدخل في كل ما جن ودق وإختفى وهي المقصود به , وقيل الجن هي البراغيث لأنها تحاول الخفاء ولا تخرج إلا بالليل المظلم وقيل هي على الظاهر أي أنها الجن المخلوق

---

[1] إحصائية الموقع الإلكتروني بتاريخ 25\9\2020 والرابط أسفله
https://news.google.com/covid19/map?hl=ar&gl=EG&ceid=EG:ar

المكلف المعروف وقيل الكفرة منهم وقيل مسلمهم وكافرهم فالله اعلم , وستكشف عنه الأيام القادمة ومن هذه الأمور غير المفهومة عندي هي مثل وخز الجن وان شرحنا شيئا منها أعلاه , وكذلك مثل دخول الطاعون مكة غير المدينة المنورة و مثل جواز الفرار منه وحرمته و الإختلاف فيه وغيرها من الأمور المختلف فيها فالعلم الحقيقي فيها عندالله عز وجل ولا نعلم الا ماعلمنا الله عزوجل كما قالت الملائكة لله سبحانه لما سألهم (فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ , قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[1] وصدق الله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم و صدقت الملائكة.

12- يجب على الرعاة والرعية التعاون زمن الجوائح للتغلب عليها كما فعل الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه ورعيته الأبرار حيث كانوا يدا واحدة على طاعون عمواس ولم يخالفوا الشرع ولا الراعي فكانت النتيجة محمودة لصالح الجميع في الدنيا ولا ننسي ما نالوا به من الأجر في الآخرة سواء ماتوا بالطاعون وغيره, فإنما الأعمال بالنيات والمؤمن مأجور بحسن النية والظن بالله عزوجل ومأجور بأداء أمانة السمع والطاعة في المعروف والتعاون على البر والتقوى, ونبذ الخلاف والتفرقة وخاصة في زمن الأزمات والكوارث , ولعل هذا التعاون بين المسلمين بل التعاون بين البشر كلهم قد يخرج حلا لهذه الأوبئة والطواعين وهي بغية الجميع, والله غالب على أمره وهو المستعان وبه التكلان.

---

[1] سورة البقرة الآية 31و32

خلاصة البحث و الخاتمة

الحمدلله الخالق المدبر الذي خلق فهدى وعلم بالقلم وعلم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على من لا نبي بعده والذي لا ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى أما بعد:فإن هذه الأوبئة والطواعين جند من جنود الله عزوجل وقدرالله الجاري على الخلق شاؤا أو أبوا , وهي تقع لحكمة إلهية سواء كانت ردعا وزجرا أو حتى هلاكا للكافرين أو رحمة وغفرانا ورفعة ودرجة للمؤمنين , كالسكين الحاد الذي يستخدم في بتر الجزء العفن , حتى يتسنى لنا الحفاظ على الجسم السليم الباقي وإلا كان الهلاك شاملا للكل , وهذه الأوبئة توقظنا بين فترة وفترة من سباتنا وغفلتنا وجبروتنا لكي نعود إلى رشدنا ونعلم حجمنا الحقيقي و قدرنا ونعلم ضعفنا ,ونتوقف عن ظلمنا لبعضنا البعض وأكلنا أموال الناس بالباطل, ولكي نخمد نيران الفتن والحروب

ونحس كم نحن البشر ضعاف و عجزة أمام الخالق العظيم وجنده ومنها هذه الميكروبات و البكتيريا والفيروسات المسببة لهذه الطواعين والأوبئة , فنقف وقفة عاقل ومدبر ونراجع أولوياتنا و ما ينفعنا فنهتم بالذي ينفع ويفرح البشرية من صحة وعلم وبحوث مفيدة والتعاون على البر والتقوى, بدل الإهتمام بالحروب والأسلحة المدمرة و الغصب والظلم و التجارب على خلق الله والتعاون على الإثم والعدوان , ولذلك يجب علينا البشر أن نتعلم من هذه الجائحة جائحة كورونا أو الكوفيد 19 بأننا اهملنا جانبين أساسين من حياتنا الا وهما الجانب التعبدي لله عزوجل والذي من أجله خلقنا الله عزوجل, ولم نقف عند هذا الحد بل إدعى بعضنا التحكم في الأرض و الكون بل إدعوا الألوهية والعياذ بالله, فأدبنا الله عزوجل بهذه الأوبئة أحسن التأديب في هذا الزمن فعرفنا قدرنا و حجمنا الصغير ولله الحمد, ولازل هناك الكثيرون في غيهم يعمهون والعياذبالله, الجانب الثاني الذي أهملناه نحن البشر وهو نتيجة للجانب التعبدي الأول وهو أننا تركنا الخلافة التي من أجلها خلقنا الله عزوجل في الأرض ونقوم بما يريده منا الله عزوجل من إصلاح وبناء وعمارة الأرض فقمنا بما توقع منا الملائكة من سفك الدماء والفساد والإفساد وإهلاك الحرث والنسل وإرتكاب الفواحش والمعاصي بل التفنن في إرتكابها, فكانت هذه هي النتائج ألا وهي الأمراض والأوبئة والحروب والجور والظلم التي لم تكن في أسلافنا ولذلكك لم يترك نبينا محمدٌ – صلى الله عليه وسلم – شيئًا ينفع أمته إلا ودلنا عليه، ولم يترك شرًّا إلا وحذرنا منه، وفي حديثٍ جامعٍ لأسباب هلاك الأمم وزوالها، يحذر النبي – صلى الله عليه وسلم – أمته وينذرها من خمس خصال مهلكة، فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: أقبل علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: (يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قطُّ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم **الطاعون والأوجاع** التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم يُنقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم.) [1]

---

[1] أخرجه ابن ماجه (4019)، والحاكم (8623) باختلاف يسير وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع برقم 7978

هذا الحديث العظيم الجامع يتضمن أوصافاً خمسة أو خصالاً خمس، إذا وقعت فيها هذه الأمة، أتاها العذاب من الله سبحانه وتعالى معجلاً في الدنيا غير آجل، بخلاف ما ينتظرها في الآخرة من الوعيد, ويهمنا هنا في البحث الخصلة ألأولى وإن كان الخصال الأخر لها علاقة قوية و وطيدة بالأولى. .

الخصلة الأولى: (لم تظهر الفاحشة في قوم قطُّ حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم **الطاعون والأوجاع** التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا)، حذّر النبي – صلى الله عليه وسلم – أمته من خطر ارتكاب الفاحشة وإظهارها والتمادي فيها، لأن ذلك ينتج عنه انتشار الطاعون والأمراض الفتاكة التي لم يسبق ظهورها في أسلافنا من الأمم، وقد ظهر تصديق ذلك بظهور طاعون العصر (الإيدز) والأمراض الجنسية الفتاكة، نتيجة ممارسة العلاقات المحرمة والشاذة من زنا ولواط وغير ذلك,وهذا التحذير والوعيد بحد ذاته يدل على الكلام السابق وهو في نفس الوقت معجزة نبوية وإعجاز علمي باهر وفيه حل جذري ظاهر وواضح لتلك الظاهرة الجنسية الفاحشة وعلاجها وهو البعد منها ومقتها ومنعها وفي المقابل يدعو الإسلام إلى تسهيل البديل ورواجه وتشجيعه وهو الزواج الفطري الشرعي الذي به تقوم النواة الأولى للمجتمع الطاهر والنقي من الأمراض الجسدية والأخلاقية فحي بنا نعض بالنواجذ على سنن الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بمنهجٍ لا يحارب دوافع الفطرة البشرية ولا يستقذرها، وإنما ينظمها ويطهرها، ويرفعها عن المستوى الحيواني والبهيمي، ويرقِّيها إلى أسمى المشاعر والعواطف، التي تليق بالإنسان كمخلوق مكرم ، ويقيم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من المشاعر النبيلة الرقيقة الراقية الطاهرة، يقول سبحانه وتعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[1].فالزواج الشرعي هوأساس بناء مجتمع صالح وهو السكن والسكينة وهو الحب والود والرحمة وبهذه الأسس تقوم الأسرة والمجتمع والأمة, فسبحان الله ما أعظم ديننا الإسلام.

---

[1] سورة الروم الآية 21

وحذر الإسلام من العلاقات المحرمة والشاذة, ولذلك لنا في قوم لوط عبرة وعظة، فقد عاقبهم الله تعالى أشد العقاب، لاتنكاس فطرتهم وخروجهم عن المنهج الذي أمرهم به نبي الله لوط – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام –، قال الله تعالى: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ}[1] ، فكانت النتيجة {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ}[2].

وفي الحديثِ التَّحذيرُ من المعاصي؛ لأنَّها تَجلِبُ الابتلاءاتِ والعُقوبات على الناسِ. وفيه علامَةٌ من عَلاماتِ نُبوَّتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وإعجاز علمي واضح حيث ربط الفاحشة وفشوها بالأمراض والأوجاع الغير المسبوقة في النوع والشدة , فسبحان الله العظيم .

ولكن في الختام لا بد من إشارة إلى أن هذه الأوبئة والطواعين الواقعة قد تكون رحمة والموت بها مثل الشهادة في سبيل الله, أو أجر الشهادة لمن وقع فيها ولكن بشروط ثلاث موجودة في النصوص الشرعية و إستنبط منها الأحكام أهل التخصص والفن وشروط الحصول على الشهادة لمن يموت بالطاعون هي أولا أن يكون المصاب بها مسلما مؤمنا بالله غزوجل غير كافر فهذا هو الشرط الأول والأساسي,
والشرط الثاني هو أن يعمل بما طلب منه وهو لزوم الصبر و المكث في البلد أو البيت وعدم الفرار وذلك لكي يقلل و يحد من نقل وإنتشار العدوى وهو في نفس الوقت يعتبر العزل والحجر الطبي بلغة العصر الحديث , و عدم الفرار من البلد الذي فيه الطاعون وإلا كان عاصيا كالذي فر من الزحف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في ما سلف ومر, والشرط الثالث والأخير وهو إصلاح النية في كل ذلك وبها جزاء الأعمال والحساب والإحتساب فينوي المسلم المكوث والتسليم لقدرالله عزوجل ويحتسب ذلك عند الله عزوجل ولا يهمه بعد ذلك النتيجة أو مايقع سواء نجا من الطاعون , أو أصابه ومات به , اوأصابه ولم يمت به,أو أصابه ولكن مات بسب غيره, فهوإن شاء الله من المفلحين في الدارين في كل تلك الحالات الأربع كما بينا ذلك سابقا في هذه الرسالة و كما قال أمير المؤمنين في الحديث ابن حجر في

---

[1] سورة النمل الآية 54

[2] سورة الحجر 74

كتابه الفتح الذي لا مثيل له[1], وقد طالب الناس من الشوكاني أن يشرح صحيح البخاري فقال كلمته المشهورة والمعبرة لا هجرة بعد الفتح ! وصدق رحمه الله تعالى في ذلك. ويحسن بنا هنا ان نلحص ونذكر كل القواعد المأخوذة من الأحاديث الشريفة في هذا البحث ونكررها للأهمية وللعلم والتعليم مرة أخرى ونذكرها ونوضحها كالتالي:

1- القاعدة الاولى في التعامل مع الأوبئة هي الآن ما يعرف بالحجر الصحي والعزل الطبي والهدف منهما هو التقليل من انتقال المرض المعدي مثل الطاعون وتقليل نشرالعدوى بين البشر بالتعبير الطبي الحديث ويتم ذلك بعدم الدخول الى محيط الطاعون اذا كنت خارجا منه وبعدم الخروج والفرار من البلد الذي وقع فيه الوباء حتى لا ينتشر وينتقل لأنه إن لم تكن مصابا فقد تكون حاملا للمرض أوحاملا لسبب المرض كبيكتيريا أو الفيروس , وهذا إعجاز علمي سبق الإسلام إليه قبل العلم بقرون ,وطبعا الإجرات تأخذ بعد التثبت والتأكد من وقوع الطاعون من قبل الجهات المسؤولة والمختصة حتى نتقي الإشاعات والشبهات , وكما تعامل الفاروق رضي الله عنه مع طاعون عمواس فكان نعم القدوة لنعم الأمة, والحمدلله.

و2- القاعدة الثانية في الأوبئة والطواعين هي انها تقع بإرادة الله عزوجل و حيث شاء ومتى شاء, وكيف شاء ولايتحكم في نشرها أو رفعها الا الله عزوجل وهذا لا ينفي الأخذ بالأسباب كما دلت عليها الأحاديث السابقة, والتي منها منع الدخول والخروج من المنطقة الموبؤة وهي من الأسباب ففهم فإنه لب المسئلة التي غفل عنها الحذاق والعقلاء قبل العوام والبسطاء, ولايعني وقوع الطاعون أن نستسلم ونعد الإيام للموت والدفن بل نجتهد في أسباب العلاج والبقاء كما فعل قدماء هذه الأمة وسلفها الصالح , حين ارتفعوا بالناس من المناطق الوخمة السفلى إلى المناطق الجبلية العالية الطاهرة كما فعل عمرو بن العاص رضي الله عنه في طاعون عمواس فسلم الناس بفضل الله ثم التخطيط السليم ولم يوبخه الخليفة عمر رضي الله عنه بفعله هذا بل وأقره كما مر بنا, لأنه لم يكن فرارا بل كان عزلا و تفتيا للجماعات للتحكم

---

[1] الفتح لإبن حجر ج 10 ص 219

في العدوى كما نفعل نحن الآن مع جائحة الكوفيد 19 بما يسمى بإبقاء المسافة بين الشخصين أو ما يسمى بالمسافة الإجتماعية حتى نقلل فرص إنتقال المرض والعدوى.

و 3-القاعدة الثالثة هي أن موت المسلم بالطاعون والوباء شهادة في سبيل الله عزوجل اذا توفرت الشروط الثلاث وهي أولا الإسلام ,وثانيا النية المخلصة أو إلإحتساب, وثالثا المكث وعدم الفرار والضجر والإيمان بالقضاء والقدر كما قال ابن حجر رحمة الله عليه في كتابه بذل الماعون[1] وانا أرى ان هذه الشروط ليست ملزمة للجميع الا الشرط الاول وهو الاسلام وذلك لأن غالبية المسلمين ليس عندهم العلم بتلك الشروط والظروف و ربما تختلف من زمان ومكان الى غيره , والله اعلم, بل المؤمن الواقع في الوباء والطاعون مأجور في الحالات الأربع إن شاء الله تعالى وهي اولا اذا أصيب و مات به , والثانية اصيب ولم يمت به وشفي , والثالثة إذا لم يصيب به ولم يمت, و الرابعة لم يصب به ولكن مات بغيره في زمن الطاعون وذلك تفضلا منه سبحانه وتعالى , وبه قال أمير المؤمنين في الحديث ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في بذل الماعون والفتح .[2]

و4- القاعدة الرابعة الكلية في الطاعون بل العقيدة الإسلامية في الطاعون هي أنه إبتلاء من الله عزوجل للبشر فعذاب وعقاب للكافرين والعصاة بم كسبت أيديهم , ورحمة وشهادة ودرجة عالية وأجر عظيم للمسلمين أو المؤمنين إن صبروا ونفذوا ما طلب منهم من الأخذ بالأسباب المشروعة وإحتساب ما أصابهم قدرا وأجرا مع الأخذ بالأسباب الشرعية والدنياوية ومنها الطبية , فعندئذ النجاة والنجاح إن شاء الله تعالى والفوز بالدرجات العلا في الدنيا والآخرة مهما كانت النتائج فمن نجا من الموت فهذا هو النجاح في الدنيا و أجر, ومن مات بالطاعون نال الشهادة والدرجات العلا فهذا هو الفوز الحقيقي والأبدي ولا شك وأما من أصيب ولم يمت به أو مات بغيره فلهم الأجور العظيمة إذا صلحت نياتهم إن شاء الله.

---

[1] بذل الماعون في فضل الطاعون لإبن حجر ص 177

[2] بذل الماعون في فضل الطاعون لإبن حجر ص 187 و الفتح لإبن حجر ج 10 ص 219

وفي الخاتمة أو الختام اسأل الله عزوجل أن يتقبل مني عملي هذا القليل المتواضع و من أعانني فيه وأن ينفعني به والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وخاصة فئة الأطباء والتمريض ومن يعمل في المجال الصحي ولا شك أني لا أنسى المرضى وعوائلهم أبدا وما هم فيه من هم وغم بل وجميع المسلمين , أسأل الله عزوجل لهم الشفاء العجل غير آجل وأن يرفع الله عنا هذه الأوبئة والطواعين والأمراض والأوجاع والأسقام , إنه ولي ذلك والقادر عليه وأن يغفرلي ماوقع مني في هذا البحث من زلل وخطأ وهو كثير, فإن الإنسان من الخطأ والخطيئة والنسيان والنقصان, وأرجو من كل من يقرأ هذا البحث وله عليه تصحيح وتعليق أو نقد بأن يرشدني إلى ذلك فهذا حقي عليه قبل ان يكون واجبا عليه فإن (الدين النصيحة)[1]كما قال الصادق المصدوق عليه وعلى آله الصلاة والسلام, وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وجميع المرسلين.

تم الإنتهاء من هذا البحث بحمدالله وقوته في السابع من صفر يوم الخميس عام 1442 ه والموافق 24 سبتمبر 2020م في زمن تفشي وباء الكرونا اوما يسمى بمرض الكوفيد 19 المستجد في العالم كله وإصابة و موت مئات الآلاف من البشر بسبب هذا الداء أو الوباء ولازل نسأل الله لنا ولكم والمسلمين السلامة والعفو والعافية دوما ودائما, وهذا هو الذي دفعنا لهذا البحث وكيفية التعامل مع هذه الوباء من الناحية الشرعية ومن الناحية الطبية جنب إلى جنب فهو الحامل والدافع على هذا البحث الشيق والنافع إن شاء الله تعالى كما أني لا انسى دور القائمين على الجامعة الإسلامية المفتوحة لموافقتهم على هذا البحث الشيق وتوفيرهم النصح والإرشاد والإعانة لي في إتمامه فجزاهم الله خيرا في الدنيا والآخرة إنه ولي ذلك والقادر عليه وحده والحمد لله أولا واخيرا.

مقدم البحث:

طويلب العلم الطبيب كيبات خان ميرداد خان نظر محمد البشاوري الأفغاني الأصل والباكستاني الجنسية والقطري الإقامة و الحمدلله أولا وأخيرا.

---

[1] (أخرجه مسلم برقم 55 و أخرجه أحمد في المسند برقم 3281)

فهرس الآيات القرآنية في البحث

الصفحة	السورة	الآية
ص 36	سورة الفرقان	آية 22
ص36	سورة الفجر	الآية 5
ص 82	سورة البقر	الآية 195
ص89	سورة يس	آية 82
ص 94	سورة يونس	الآية 100
ص 95	الأعراف	الآية 134
ص 95	سورة البقرة	الآية 243
ص 97	سورة النجم	الآية 3 و 4
ص105	سورة يونس	الاية 10
ص 108	سورة الأنعام	الآية 63و64
ص 134	سورة الأنعام	الآية 38
ص134	سورة النحل	الآية 43
الصفحة	**السورة**	**الآية**
ص 137	سورة البقرة	الآية 216
ص 138	سورة النساء	الآية 78
ص138	سورة النساء	الآية 69
ص 411	سورة البقرة	الآية 31و 32
ص 144	سورة الروم	الآية 21
ص 144	سورة النمل	الآية 54
ص 144	سورة الحجر	اللآية 74

فهرس الأحاديث الشريفة في البحث	
الحديث	الصفحة
(إن الحمد لله نحمده)	ص 2
(الطاعون شهادة لكل مسلم)	ص 7 و 30 و 50 و 94 و 107 و 135
(أنه كان عذابا .....)	ص 7 و 50
(الطاعون وخز أعدائكم من الجن ......) ص30	
(لا تفنى أمتي إلا بالطعن أوالطاعون ....) ص31	

فهرس المصادر و المراجع

1. تفسير الطبري الطبعة الأولى 1415 ه مؤسسة الرسالة بيروت تحقيق بشار عواد و عصام فارس
2. الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية للجوهري تحقيق أحمد عطار دار العلم للملايين بيروت 1990م
3. -صحيح البخاري الطبعة الأولى 2015 م مكتبة الإمام مسلم القاهرة وبترقيم محمد فؤاد عبدالباقي
4. صحيح مسلم الطبعة الثانية دار السلام الرياض 2000م وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي
5. بذل الماعون في فضل الطاعون لابن حجر العسقلاني , تحقيق أحمد عصام الكاتب دار العاصمة الرياض طبعة 1411ه
6. فتح الباري لابن حجر العسقلاني تحقيق إبن باز طبعة دار الحديث القاهرة 1424 ه
7. المستدرك على الصحيحين للحاكم الطبعة الأولى 1422ه دار الكتب العلمية بيروت تحقيق مصطفى عطا

8. ـمسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط,عادل مرشد، وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ

9-إكمال المعلم بفوائد مسلم,شرح مسلم لقاضي عياض الطبعة الأولى دار الوفاء مصر .9

10. الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبعة الأولى 1405هـ دار الكتب العلمية بيروت

11. كتاب الجامع للامراض المعدية والطواعين 2008م المؤلف جورج كوهان

12. الطاعون في العصر الأموي صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة الأموية، أحمد العدوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2018م.

13. كتاب (الأوبئة والمجاعة في عصر الرومان) المؤلف داينيويس ستاتاكوبولص 2004م

14. كتاب جوائح القرون الوسطى للكاتب جستس فريدريش

15. فتوح البلدان للبلاذري ط دار الكتب العلمية بيروت 2000م تحقيق عبدالقادر محمد علي

16. تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الثانية دار المعارف بمصر 1387هـ تحقيق محمد أبو الفضل

17. فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب لعلي الصلابي الطبعة الأولى 1423هـ مكتبة التابعين القاهرة

18. الكامل في التاريخ لإبن الأثير الطبعة الأولى1407هـ دار الكتب العلمية بيروت تحقيق عبدالله القاضي

19. البداية والنهاية لإبن كثير طبعة دار المعارف وتحقيقه بيروت 1410هـ

20. معجم البلدان لياقوت الحموي طبعة دار صادر بيروت 1397هـ

21. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي تحقيق محمد أبوالفضل ط1 المكتبة العصرية 1424هـ

22. النجوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة لإبن تغري بردي طبعة دار الكتب مصر 1383 هـ

23. سير أعلام النبلاء للذهبي الطبعة الثالثة دار النشر الرسالة تحقيق الأرنؤوط 1405هـ

24. الإستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر الطبعة الأولى دار الجيل بيروت 1412 هـ

25. المعارف لابن قتيبة الطبعة الثانية 1992 م تحقيق ثروت عكاشة نشر هيئة مصر

26. الذخائر والبصائر للتوحيدي ط دار صادر بيروت2006 م

27. التعازي والمراثي للمبرد الناشر مجمع اللغة العربية 1976م

28. لإعتبار لإبن أبي الدنيا الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة 1413هـ تحقيق نجم عبدالرحمان

29. تاريخ دمشق لابن عساكرتحقيق محب الدين العمروي دار الفكر بيروت 1415هـ

30. تاريخ الزوقنيني المنحول للتلمحري ط 2006 م المكتبة البولسية بيروت

31. الموت بمصر والشام في العهد المملوكي الطبعة الأولى 2014 م الدار التونسية للكتاب للطبابي
32. ديوان ابن الوردي الطبعة الأولى تحقيق أحمدفوزي دار القلم الكويت 1407هـ
33. السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي تحقيق محمد مصطفى مطبعة لجنة التأليف والترجمة 1970 م
34. عجائب الأثار في التراجم والأخبار للجبرتي تحقيق د: عبدالرحيم ط 1998م دار الكتب المصرية
35. الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الأمبرالية شلدون واتس ترجمة احمد محمود ط 2010م
36. مارواه الواعون في أخبار الطاعون للسيوطي تحقيق محمد البار 1418هـ دار القلم بيروت
37. ذكر الوباء والطاعون للسرمري تحقيق شوكت رفقي طبعة دارالمحبة دمشق 1425م
38. "تراث الإسلام" أرنولد، توماس ترجمة جرجيس فتح الله، دار الطليعة، بيروت ط2 و 1972 م
39. القول المفيدعلى كتاب التوحيدلابن عثيمين تحقيق سليمان أبوالخيل ط دار العاصمة الرياض 1415 هـ
40. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، للألباني،مكتبة المعارف الرياض1420هـ
41. السلسلة الصحيحة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1422هـ/ 2002م،
42. صحيح ابن حبان تحقيق أحمد شاكر طبعة دارالمعارف مصر 1372 هـ
43. موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي، د. أحمد شوقي ,نهضة مصر للنشر، القاهرة، 2003م
44. موسوعة الإعجاز العلمي في السنة ، حمدي الصعيدي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، مصر2007م
45. شرح مسلم لقاضي عياض تحقيق يحيى إسماعيل ط1 دار الوفاء مصر1419هـ
46. "فيض القدير شرح الجامع الصغير "للمناوي الطبعة الثانية 1391 هـ دار المعرفة بيروت
47. سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد دار إحياء الكتب العربية
48. تقريب التهذيب"لابن حجر العسقلاني تحقيق أبو الأشبال صغير أحمد دار العاصمة ط 1421هـ
49. الموضوعات"لابن الجوري ط1 تحقيق عبدالرحمان محمد المكتبة السلفية المدينة 1386 هـ
50. حاشية السندي على مسند الإمام أحمد تحقيق طارق عوض الله طبعة دار المأثور الرياض 1431هـ
51. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني ط 1 المكتب الإسلامي 1399 هـ
52. كتاب خطبة الحاجة للألباني المكتب الإسلامي دمشق الطبعة الرابعة 1400هـ
53. القانون في الطب لإبن سينا ط1 دار الكتب العلمية تحقيق محمد الضناوي 1999م

54. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم تحقيق شعيب الأرنؤوط ط 3 مؤسسة الرسالة بيروت 1418هـ
55. كتاب التاريخ البيئي للكاتب ألفرد كروسي
56. كتيبة الطاعون.. الجهود العلمية الإسلامية في مكافحة الأوبئة والطواعين د. محمد علي عطا مركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب 2020 م www,vefaqdev.net
57. الموقع الإلكتروني لمعاجم اللغة العربية https://www.islamspirit.com
58. الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية https://www.who.int/ar
59. اسلام ويب *https://www.islamweb.net*
60. قصة الجدري بحث موقع شبكة الجزيرة والرابط أسفله www.aljazera.net/amp/news/healthmedicine /2017
61. مجلة بريطانية طبية عنوان البحث قصة التطعيمات تاريخ النشر 17\11\2005 الرابط أسفله https//doi.org/10.1136/bmj.331.7526.1209(linke) publised 17 nov 2005 BMJ
62. موقع االإنترت لمصادر طبية PubMed
63. موقع "بيزنس إنسايدر" الأميركي، تقرير عن الطاعون الكاتب رايدر كيمبو www.businnessinsider.com
64. قصة الجدري بحث موقع شبكة الجزيرة والرابط أسفله www.aljazera.net/amp/news/healthmedicine /2017

تم بحمد الله تعالى

فهرس المواضيع في البحث

تم بحمد الله

